

غزة - فلسطين

هَـذِهِ المَـادَّةُ الإِلِكْـتُرونِـيَّةُ PDF مِـنْ إِعْـدَادِ **شَبَكَـةِ (بَـلِّغُوا عَنِّي العَالَمِيَّةُ)**، وَإِصْدَارَاتِـهَـا الحَدِيثَـةِ الخَاصَّـةِ؛ لِلمُطَـالَعَـةِ الهَـاتِفِيَّـةِ وَاللَّـوْحِيَّـةِ وَالحَـاسُوبِيَّـةِ.

(سَاهِمْ بِالنَّشْرِ أَخِي الكَرِيمَ، وَأَهْدِهَا لِمَنْ تُحِبُّ؛ جَزَاكَ اللَّه تَعَالَى خَيرًا، فَالدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ☺)







إشْرافُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبُو عَبْدِ اللهِ زَكَرِيَّا بْنُ طَهَ شَحَادَة

:: لِزيارَةِ المَنَصَّاتِ الإلكترونِيَّةِ؛ اضغَطْ على الأَيْقُونَةِ المُقابِلَةِ لِكُلِّ مَنَصَّةٍ ::

الموقعُ الرَّسْميُّ | قناةُ اليوتيوب

صفحةُ الفيسبوك | مجموعةُ الفيسبوك

قناةُ التليغرام | مجموعةُ التليغرام

مجموعاتُ الواتساب

حسابُ تويتر | حسابُ إنستغرام

مجموعةُ سنقال - Signal | قناةُ Bip | مجموعةُ Bip

لِلتَّبْلِيغِ عَنْ خَطَأ؛ تَواصَلْ مَعَ إدَارَةِ بَلِّغُوا عَنِّي

وَمُنَسِّقِ الكُتُبِ:

القَارِئُ الكَرِيمُ

- اقْرَأ هَذَا الكِتَابَ بِنِيَّةِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِلَا عَمَلٍ، وَلَا خَيْرَ فِي عَمَلٍ بِلَا نِيَّةٍ خَالِصَةٍ.
- قِفْ عِنْدَ كُلِّ حَدِيثٍ، وَأَحْضِرْ لَهُ نِيَّةً خَالِصَةً؛ فَإِنَّ أَجْرَ الْعَبْدِ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَىٰ قَدْرِ نِيَّتِهِ.
- كَتَبَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ: «اعْلَمْ يَا عُمَرُ أَنَّ عَوْنَ اللهِ لِلْعَبْدِ بِقَدْرِ نِيَّتِهِ، فَمَنْ خَلُصَتْ نِيَّتُهُ؛ تَمَّ عَوْنُ اللهِ لَهُ، وَمَنْ نَقَصَتْ نِيَّتُهُ؛ نَقَصَ عَنْهُ مِنْ عَوْنِ اللهِ بِقَدْرِ ذَلِكَ»[1].
- لا تَتْرُكِ الكِتَابَ حَتَّىٰ تُتِمَّهُ عَنْ آخِرِهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ صَفَحَاتِهِ تُصِيبُ البَرَكَةَ، ولَعَلَّ آخِرَهُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ أَوَّلِهِ.

---

(1) انظرْ: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي: 2/ 312.

❖ إِذَا قَضَيْتَ حَاجَتَكَ مِنَ الكِتَابِ؛ فَأَهْدِهِ لِمَنْ تُحِبُّ مِنْ إِخْوَانِكَ المُسْلِمِينَ؛ فَلَعَلَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ؛ فَيَكُونُ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ، ولَعَلَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْكَ، وفي الحديث: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا، وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[1].



(1) أخرجه الترمذي في سننه: 4/ 321، رقم: (2658).



مُقَدِّمَة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ، وَعِزِّ جَلَالِهِ، حَمْدًا يَمْلَأُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا شَاءَ رَبُّنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، بِمَجَامِعِ حَمْدِهِ كُلِّهَا: مَا عَلِمْنَا مِنْهَا، وَمَا لَمْ نَعْلَمْ؛ عَلَىٰ نِعَمِهِ كُلِّهَا: مَا عَلِمْنَا مِنْهَا، وَمَا لَمْ نَعْلَمْ؛ عَدَدَ مَا حَمِدَ الحَامِدُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ، وَعَدَدَ مَا جَرَىٰ بِهِ قَلَمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ؛ حَمْدًا وَافِيًا تَامًّا كَامِلًا، مِنْ لَدُنْهُ[1] إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ عِلْمِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ وَبَارَكَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَإِمَامِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَىٰ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

---

(1) لَدُنِ: أي من عِنْده، انظر: جمهرة اللغة، لابن دُرَيْدٍ: 2/ 681.

لِكُلِّ عَبْدٍ حَظُّهُ مِنَ الابْتِلاءِ

فَإِنَّهُ كُتِبَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ -الأَنْبياءِ فَمَنْ دُونَهُمْ- حَظُّهُ مِنَ الابْتِلاءِ: قَلَّ أَوْ كَثُرَ، طَالَ أَوْ قَصُرَ؛ فَلَيْسَ يُعَافَىٰ مِنَ الابْتِلَاءِ أَحَدٌ؛ وإنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَبْتَلِي عَبْدَهُ ويَمْتَحِنُهُ؛ لِيَنْظُرَ كَيفَ يَعْمَلُ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْتَازُ الامْتِحَانَ بالامْتِيازِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجِعُ بالخُسْرَانِ، وَلِكُلٍّ نَصِيبٌ مِنَ التَّوْفِيقِ بِقَدْرِ حُسْنِ اسْتِعْدَادِهِ وَتَلَقِّيهِ لِمَا يَنْزِلُ مِنْ أَقْضِيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَما يَلِيقُ لَهَا مِنْ أَحْوَالِ الصَّبْرِ والرِّضَا.

وإنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ورَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ يُقَسِّمُ ابْتِلاءَاتِ العِبَادِ كَمَا يُقَسِّمُ أَرْزَاقَهُمْ، فَمِنْهُمُ مَنْ يُبْتَلَىٰ بِمَالِهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يُبْتَلَىٰ بِوَلَدِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُبْتَلَىٰ بِجَسَدِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُبْتَلَىٰ بِعِرْضِهِ... وَهُوَ سُبْحَانَهُ -بِعِلْمِهِ وَخِبْرَتِهِ- يُقَدِّرُ شِدَّةَ الابْتِلَاءِ وَمُدَّتَهُ؛ فَلَيْسَ يُقَدِّرُ مُدَّةَ الامْتِحَانِ وَشِدَّتَهُ إِلَا مَنْ وَضَعَهُ، أَمَّا المُمْتَحَنُ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَمْثُلَ للمُمْتَحِنِ، وَيَسْتَسْلِمَ للاخْتِبَارِ.

المَرَضُ حُظُّ كُلِّ أَحَدٍ

وَإِنَّ مِنْ أَكْثَرِ الابْتِلَاءَاتِ إِصَابَةً للبَشَرِ الابْتِلَاءُ بالأَمْرَاضِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ، فَالإِنْسَانُ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ المَرَضِ والضَّعْفِ نَسَبًا عَرِيقًا، فَهُوَ مَرِيضٌ ابنُ مَرِيضٍ ابْنِ مَرِيضٍ...، ضَعِيفٌ ابْنُ ضَعِيفٍ ابْنِ ضَعِيفٍ...، فالمَرَضُ حُظُّ كُلِّ أَحَدٍ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الأَمْرَاضِ وَتَنَوُّعِهَا، وَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَخْلُو بَيْتٌ مِنْ مَرِيضٍ عَلَىٰ الدَّوَامِ، فَمِنَ الأَمْرَاضِ القَلِيلُ السَّهْلُ، سَرِيعُ الزَّوَالِ: كَالسُّعَالِ، والرَّشْحِ، والإِنْفِلْوَنْزَا، وكالجُرْحِ الصَّغِيرِ، وكالشَّوْكَةِ، وَوَجَعِ العَيْنِ والأُذُنِ والسِّنِّ والأَنْفِ والبَطْنِ، وكَسْرِ اليَدِ والرِّجْلِ...، وَمِنْهَا المُتَوَسِطُّ: كالعَمَلِيَّاتِ الصُّغْرَىٰ، وكالغُضْرُوُفِ، والرُّومَاتِزْمِ، وَخُشُونَةِ المَفَاصِلِ، وَضَعْفِ البَصَرِ...، وَمِنْهَا الكَبِيرُ الخَطِيرُ: كَأَمْرَاضِ القَلْبِ، وتَلَيُّفِ الكَبِدِ، وَفَشَلِ الكُلَىٰ، والسَّرَطَانِ...، وَمِنْهَا الزَّمِنُ[1] الذِي قَدْ لَا

(1) زَمِنٌ: دَائِمُ المَرَضِ، مُلازِمٌ، يَدُومُ زَمَانًا مَدِيدًا، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 2/ 998.

يُفَارِقُ الإِنْسَانَ إِلَّا بالمَوْتِ: كَالسُّكَّرِ، وَضَغْطِ الدَّمِ، وَزِيَادَةِ الكَهْرَبِ، والشَّلَلِ، والعَرَجِ، والعَمَىٰ، والصَّمَمِ، وَبَتْرِ الأَعْضَاءِ، والإِعَاقَاتِ...، فَلَيْسَ المَرِيضُ إِذَنْ مَنْ يَرْقُدُ عَلَىٰ سَرِيرِ المَرَضِ فَحَسْبُ، وَلَكِنَّهُ كُلُّ مَنْ بِهِ عِلَّةٌ طَارِئَةٌ عَارِضَةٌ، أَوْ مُزْمِنَةٌ دَائِمَةٌ؛ وَكُلُّنَا -بِهَذَا المَعْنَىٰ- مَرِيضٌ، ومَنْ تَرَدَّدَ عَلَىٰ المُسْتَشْفَيَاتِ، وَتَأَمَّلَ كَثْرَةَ المَرْضَىٰ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَسْنَانِهِمْ، مُزْدَحِمِينَ عَلَىٰ الأَقْسَامِ المُخْتَلِفَةِ؛ رَأَىٰ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَرْضَىٰ.

المَرَضُ نِعْمَةٌ أَوْ نِقْمَةٌ

والمَرَضُ نِعْمَةٌ عَلَىٰ المُسْلِمِ أَوْ نِقْمَةٌ: نِعْمَةٌ تُمْحَىٰ بِهَا الذُّنُوبُ، وَتَحْيَا بِهَا القُلُوبُ، وَتُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجاتُ؛ إِذَا أَحْسَنَ المَرِيضُ لَهَا التَّجَمُّلَ بالصَّبْرِ والرِّضَا؛ وَنِقْمَةٌ وَفِتْنَةٌ، وَخُسْرَانٌ مُبِينٌ؛ إِذَا تَسَخَطَّهَا، وَلَمْ يَتَجَمَّلْ لَهَا بِجَمِيلِ الصَّبْرِ والرِّضَا عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ.

المَرَضُ عِبْرَةٌ وَتَذْكِرَةٌ

وإِنَّ المَرَضَ عِبْرَةٌ وَتَذْكِرَةٌ: فَهُوَ عِبْرَةٌ وَتَذْكِرَةٌ لِأَهْلِ العَافِيَةِ؛ فَمَنْ وَجَدَ قَسْوَةً فِي قَلْبِهِ، وجَفَافًا فِي عَيْنِهِ، وَبُعْدًا عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ؛ فَلْيُسَارِعْ بِزِيَارَةِ أَقْسَامِ الأَمْرَاضِ الخَطِيرَةِ: قِسْم الأَوْرَامِ، أَوِ الكُلَىٰ، أَوِ الحُرُوقِ، أَوِ العِنَايَةِ الفَائِقَةِ...؛ لِيَنْظُرَ مَرَاقِدَ المَرْضَىٰ وَمَضَاجِعَهُمْ، وَتَقَلُّبَ أَحْوالِهِمْ، وَيَسْمَعَ أَنِينَهُمْ وَصَرَخَاتِهِمْ وصَيْحَاتِهِمْ؛ ورُبَّمَا كَانُوا بالأَمْسِ أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً، وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وأَوْلادًا وَسُلْطَانًا... ذَهَبَتِ القُوَّةُ، وَلَمْ يَنْفَعِ المَالُ وَلَا الولَدُ وَلَا السُّلْطانُ... فَمَا هِيَ حَتَّىٰ يَسْتَيقِظَ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَيَعُودَ إِلَىٰ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَيَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَيُخْرِجَهَا مِنْ قَلْبِهِ، وَيُقْبِلَ عَلَىٰ الآخِرَةِ، يَعْمَلُ لَهَا؛ فعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعُودُهُ، فَوَجَدَهُ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَنَظَرَ إِلَىٰ كُرَبِهِ وعِلَّتِهِ وَشِدَّةِ مَا نَزَلَ بِهِ؛ فَرَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِغَيْرِ اللَّوْنِ الَّذِي خَرَجَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: الطَّعَامُ يَرْحمُكَ اللهُ، أَتَأْكُلُ؟

فَقَالَ يَا أَهْلَاهُ، عَلَيْكُمْ بِطَعَامِكُمْ وشَرَابِكُمْ، قَالُوا: يَا فُلَانُ، الضَّيْعَةُ[1]، قَالَ: يَا أَهْلَاهُ، عَلَيْكُمْ ضَيْعَتُكُمْ، فوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مَصْرَعًا، لَا أَزَالُ أَعْمَلُ لَهُ حَتَّىٰ أَلْقَاهُ»[2].

---

(1) الضَّيْعَة: جَمْعُهَا ضِيَاعٌ، وَهِيَ: المَنَازِلُ والأَمْلَاكُ، والغَنَمُ والإِبِلُ، والحِرْفَةُ وَالتِّجَارَة والصِّنَاعَةُ والزِّرَاعَةُ وَالْأَرْض. يُقَالُ للرَّجُلِ قُمْ إِلَىٰ ضَيْعَتِكَ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 3/ 46، ومختار الصحاح، للرازي: 1/ 186.

(2) انظر: الزهد، لأحمد بن حنبل: 1/ 219، والعاقبة في ذكر الموت، لابن الخراط: 1/ 43.

المَرَضُ بَرِيدُ المَوْتِ وَرَسُولُهُ

والمَرَضُ بَرِيدُ المَوْتِ وَرَسُولُهُ إِلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ؛ فَإِنَّ عَاقِبَةَ كُلِّ مَرَضٍ إِمَّا العَافِيَةُ أَوِ المَوْتُ؛ فَإِنْ كَانَتِ العَافِيَةُ؛ فَهُوَ إِيذَانٌ بِعَافِيَةٍ مُؤَقَّتَةٍ، وَبِعَوْدَةٍ للمَرَضِ بَعْدَ عَوْدَةٍ؛ حتَّىٰ يَكُونَ مَرَضُ المَوْتِ، فَكُلُّ حُمَّىٰ[1] يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ حُمَّىٰ المَوْتِ؛ فَلَئِنْ أَسْفَرَتْ عَنْ عَافِيَةٍ؛ فَعَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ أَفْسَحَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، وَمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ؛ حتَّىٰ يَسْتَعْتِبَ[2]، وَيَعْمَلَ صَالِحًا فِيمَا بَقِيَ. فَكَمْ مِنْ حُمَّىٰ طَرَقَتْ عَبْدًا، فَظَنَّهَا حُمَّىٰ إِنْفِلْوَنْزَا عَارِضَةً؛ فَتَمَادَتْ، وكانَتْ قَاتِلَةً، وَكَانَ فِيهَا المَوْتُ؟!

---

(1) الحُمَّىٰ: السُّخُونَةُ وارْتِفَاعُ حَرَارَةِ البَدَنِ، انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي: 1/ 710.

(2) يَسْتَعْتِبَ: يَسْتَرْضِي، والاسْتِعْتَابُ: الرُّجُوع عَن الْإِسَاءَة إِلَىٰ الْإِحْسَان، والمَقْصُودُ هُنَا: حتَّىٰ يَسْتَرْضِيَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا فَاتَ بالتَّوْبَةِ، وَفيما هُوَ آتٍ بصَالِحِ الأَعْمَالِ، انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: 3/ 505، وغريب الحديث، لابن الجوزي: 2/ 65.

وإِنَّ العَبْدَ العَاقِلَ الكَيِّسَ[1] إِذَا طَرَقَتْهُ الحُمَّىٰ؛ قَالَ لِنَفْسِهِ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي[2]، فِيهَا المَوْتُ؛ فَلَئِنِ انْكَشَفَتْ، وَجَاءَتْ أُخْرَىٰ؛ قَالَ: هَذِهِ، هَذِهِ. وحَالُهُ يَقُولُ بَعْدَ كُلِّ حُمَّىٰ: واللهِ لَأَعْمَلَنَّ عَمَلَ مَنْ إِذَا جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، وَقِيلَ لَهُ تَمُوتُ السَّاعَةَ؛ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مَزِيدٌ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «لَوْ قِيلَ لِحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ: إِنَّكَ تَمُوتُ غَدًا؛ مَا قَدَرَ أَنْ يَزِيدَ فِي الْعَمَلِ شَيْئًا»[3].

---

(1) الكَيِّسُ: العَاقِلُ الفَطِنُ. وَالكَيْسُ: العَقْلُ، انظرْ: لسان العرب، لابن منظور: 6/ 201.

(2) وَلَيْسَ المَقْصُودُ هُنَا اليَأْسُ، وَإِنَّمَا المَقْصُودُ الحَذَرُ والاعْتِبَارُ بالمَرَضِ.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 6/ 250.

رَسَائِلُنَا هَدِيَّةُ المَرِيضِ

ولَمَّا كانَ كُلُّ عَبْدٍ عُرْضَةً لِعَوَارِضِ الأَمْرَاضِ عَلَىٰ الدَّوَامِ -لَيْسَ يَنْقَضِي شَهْرٌ أَوْ فَصْلٌ إِلَّا وَيُصَابُ- لَزِمَ أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُ بِمَا يَحْسُنُ، وأَنْ يَتَفَقَّهَ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ العَمَلِ حَالَ مَرَضِهِ؛ وإِنَّنَا -بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَمَامِ مِنَّتِهِ- أَعْدَدْنَا لِذَلِكَ هَذِهِ المَادَّةَ، بِعُنْوانِ: (هَدِيَّةُ المَرِيضِ)، تَصْلُحُ أَنْ تُقَدَّمَ هَدِيَّةً لِكُلِّ مَرِيضٍ، وَلِكُلِّ مُعَافَىٰ، فلَيْسَ أَحَدٌ عَنِ المَرَضِ بِمَنْأَىٰ، وَلَا مِنْهُ بِمَأْمَنٍ، هِيَ أَنْفَعُ مِنْ كُلِّ هَدِيَّةٍ، يَقْرَأُهَا؛ إِنْ قَدَرَ، أَوْ تُقْرَأُ لَهُ.

وَهِيَ رَسَائِلُنَا إِلَىٰ كُلِّ مُمْتَحَنٍ بِبَلَاءٍ... إِلَىٰ كُلِّ مَنْ أَبْأَسَهُ الضُّرُّ وأَضْنَاهُ[1]... إِلَىٰ كُلِّ مَنْ يَنْشُدُ العَافِيَةَ، وَيَبْتَغِي رِضْوَانَ اللهِ... إِلَىٰ كُلِّ مَرِيضٍ ومَرِيضَةٍ، وَكلُّ ابْنِ آدَمَ مَرِيضٌ... إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ... إِلَيْكُمْ رَسَائِلُنَا:

---

(1) أَضْنَاهُ: أَجْهَدَهُ وَأَثْقَلَهُ وشَقَّ عَلَيْهِ وَعَذَّبَهُ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 12/ 69، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 2/ 1372.

الرِّسَالَةُ الأُولَى: المرض مَحَّاءُ الذُّنوبِ

المرضُ مَحَّاءُ الذُّنوبِ، غَاسِلُ الحَوْبَاتِ[1]، وَمُزِيلُ أَدْرَانِ[2] المَعَاصِي والآثامِ عَنِ العَبْدِ المُسْلِمِ الصَّابِرِ المُحْتَسِبِ؛ فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﵁، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا، فَحَمِدَنِي عَلَىٰ مَا ابْتَلَيْتُهُ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي، وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ**»[3].

---

(1) الحَوْبَاتِ: جَمْعُ حَوْبَة، وَهِيَ الإِثْمُ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 5/ 173.

(2) أَدْرَانُ: جَمْعُ دَرَنٍ، والدَّرَنُ: تَلَطُّخُ الوَسَخُ، انظر: معجم العين، للخليل: 8/ 20.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 28/ 344، رقم: (17118)، وحسَّنه الألباني.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزالُ البَلاءُ**[1] **بالمُؤْمِنِ والمُؤمنَةِ فِي جَسَدِهِ وأَهْلِهِ ومَالهِ؛ حَتَّىٰ يَلقَىٰ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **ومَا عَليْهِ خَطيئَةٌ**»[2].

وَلَقَدْ كَانُوا يَحْتَسِبُونَها كَفَّارَةً لِمَا سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ؛ فعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «**كَانُوا يَرْجُونَ فِي حُمَّىٰ لَيْلَةٍ كَفَّارَةً لِمَا مَضَىٰ مِنَ الذُّنُوبِ**»[3].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا مَاذَا لَنَا بِهَا؟ قَالَ: كَفَّارَاتٌ، قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ قَلَّتْ؟ قَالَ: شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا. قَالَ: فَدَعَا أُبَيٌّ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَلَّا**

---

(1) صَفْوَةُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي الفَرْقِ بَيْنَ لفْظَتَيْ: (البَلَاءِ والابْتِلاءِ): هُوَ أَنَّ الكَلِمَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا تُسْتَعْمَلَانِ فِي الخَيْرِ وفِي الشَّرِّ، ولكِنْ أَشْهَرُ مَا تُذْكَرُ كَلِمَةُ الابْتِلَاءِ فِي الخَيْرِ، وَأَشْهَرُ مَا تُذْكَرُ كَلِمَةُ البَلَاءِ فِي الشَّرِّ، واللهُ تَعالَىٰ أَعْلَمُ، انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لابن الأنباري: 1/ 246، والفروق اللغوية، للعسكري: 1/ 240، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 1/ 155.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 174، رقم: (494)، وصحَّحه الألباني.

(3) ذكره ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات: 1/ 40.

يُفَارِقَهُ الْوَعْكُ[1] حَتَّىٰ يَمُوتَ؛ وَأَنْ لَا يَشْغَلَهُ عَنْ حَجٍّ، وَلَا عُمْرَةٍ، وَلَا جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ، قَالَ: فَمَا بَاشَرَ[2] رَجُلٌ جِلْدَهُ بَعْدَهَا إِلَّا وَجَدَ حَرَّهَا حَتَّىٰ مَاتَ»[3].

(1) الوَعْكُ: أَذَىٰ الحُمَّىٰ ووجعها فِي الْبدن، ووَعَكَتْه وَعْكا: دكَّتْهُ، انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: 2/ 279.

(2) يعني: مَا لَمَسَ أَحَدٌ بَشَرةَ جِلْدِهِ إِلَّا وَجَدَ حَرَارَتَهُ.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك: 4/ 343، رقم: (7854)، وابن حبان في صحيحه: 7/ 190، رقم: (2928)، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

المرضُ رِفْعَةٌ لِدَرَجَاتِ العَبْدِ

وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيَرْفَعُ العَبْدَ المُسْلِمَ بالأَمْرَاضِ والابْتِلَاءَاتِ كَمَا يَرْفَعُهُ بالعِبَادَاتِ والطَّاعَاتِ، فإن العَبْدَ المُؤْمِنَ لَتكُونُ لَهُ الدَّرَجَةُ عِنْدَ اللهِ تعالَىٰ، لَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلِهِ؛ فَيَبْتَلِيهِ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لِيَرْفَعَهُ بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ إِلَيْهَا؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ؛ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»[1]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»[2]. «قَالَ العُلَمَاءُ: مَعْنَىٰ الحَدِيثِ: يَبْتَلِيهِ لِيُطَهِّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الدُّنْيا؛ فَيَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ نَقِيًّا، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِ عِنْدَهُ»[3].

ولِعَظِيمِ كَرَمِ اللهِ تَعَالَىٰ لِأَهْلِ البَلَاءِ فِي الآخِرَةِ يَغْبِطُهُمْ أَهْلُ العَافِيَةِ، وَيَتَمَنَّونَ مَنْزِلَتَهُمْ؛ فعَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ**

---

(1) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده: 10/ 482، رقم: (6095)، وصحَّحه الألباني.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 7/ 115، رقم: (5645).

(3) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقَسْطَلَّانِيِّ: 8/ 342.

يَوْمَ القِيَامَةِ –حِينَ يُعْطَىٰ أَهْلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ– لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ»[1].

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 4/ 603، رقم: (2402)، وحسَّنه الألباني.

الأَجْرُ بِمَا فِي الصَّدْرِ

والعَبْدُ مَأْجُورٌ عَلَىٰ قَلِيلِ المَرَضِ: الشَّوْكَةِ فَمَا فَوْقَها، كَمَا هُوَ مَأْجُورٌ عَلَىٰ كَثِيرِهِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ**[1]**، وَلَا وَصَبٍ**[2]**، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًىٰ وَلَا غَمٍّ**[3]**، حَتَّىٰ**

---

(1) النَّصَبُ: الإِعْيَاءُ والتَّعَبُ، انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: 3/ 403.

(2) الوَصَبُ: الْمَرَضُ والأَلَمُ، انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: 3/ 403.

(3) الْهَمُّ: ما يَنْشَأُ مِنَ الْفِكْرِ فِيمَا يُتَوَقَّعُ حُصُولُهُ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ بِهِ. والْحُزْنُ: الغَمُّ الحاصِلُ لوقوعِ مَكْرُوه أَو فَواتِ مَحْبوبٍ فِي الماضِي. والْغَمُّ: هو كَرْبٌ يَحْدُثُ لِلْقَلْبِ بِسَبَبِ مَا حَصَلَ، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: 21/ 209.

الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[1].

ولَيْسَتِ العِبْرَةُ بِكَثْرَةِ الأَمْرَاضِ وَشِدَّتِها وَحْدَها فِي التَّفَاضُلِ بَيْنَ المَرْضَىٰ، وَإِنَّما العِبْرَةُ بِمَا يَقَعُ فِي صَدْرِ المَرِيضِ وَقَلْبِهِ -قَلِيلًا كَانَ مَرَضُهُ أَمْ كَثِيرًا- مِنْ صَبْرٍ واحْتِسَابٍ، ورِضًا عَنِ اللهِ تَعالَىٰ، وتَعْظِيمٍ لَهُ، وحَمْدٍ لَهُ وَثَناءٍ عَلَيْهِ. فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ المَعَانِي والأَحْوالُ فِي قَلْبِهِ أَعْظَمَ؛ كانَ أَجْرُهُ أَكْبَرَ، وَكَانَ المَرِيضُ عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ أَعْظَمَ قَدْرًا. فَقَدْ يَسْبِقُ صَاحِبُ المَرَضِ القَلِيلِ صَاحِبَ المَرَضِ الكَثِيرِ والسَّقَمِ الشَّدِيدِ؛ بِمَا وَقَرَ فِي قَلْبِ الأَوَّلِ مِنْ تِلْكَ المَعَانِي والأَحْوالِ، وَبِخُلُوِّ قَلْبِ الثَّانِي مِنْهَا، وَقَدْ يُحْرَمُ صَاحِبُ المَرَضِ الكَثِيرِ مِنَ الأَجْرِ، وَقَدْ يَكُونُ مَوْزُورًا، لَا مَأْجُورًا؛ إِذَا كانَ مُتَسَخِّطًا أَقْدَارَ اللهِ تَعَالَىٰ، غَيْرَ رَاضٍ عَنْها.

أَمَّا إِذَا اجْتَمَعَ عِظَمُ المَرَضِ، مَعَ عِظَمِ ما فِي القَلْبِ مِنْ مَعَانِي الصَّبْرِ والاحْتِسابِ والرِّضَا...؛ كَانَ الكَمَالُ؛ فَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ بَلاءً، وأَعْظَمَهُمْ صَبْرًا واحْتِسابًا ورِضًا؛ أَعْظَمُهُمْ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ، وأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا؛ فعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ؛ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ؛ فَلَهُ**

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 7/ 114، رقم: (5641).

السَّخَطُ»[1]، وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

---

(1) أخرجه ابن ماجه: 2/ 1338، رقم: (4031)، والترمذي في سننه: 4/ 601، رقم: (2396)، وحسَّنه الألباني.

(2) النساء: 40.

صَبْرُ أَيُّوبَ عليه السلام

وَهَذَا أَيُّوبُ عليه السلام عَلَىٰ مَا كَانَ لَهُ مِنْ كَرَامَةِ النُّبُوَّةِ يَبْتَلِيهِ اللهُ تَعَالَىٰ بالمَرَضِ؛ فَيَصْبِرُ أَجْمَلَ الصَّبْرِ. ولَمْ يَزَلْ صَبْرُ أَيُّوبَ مَثَلًا للصَّالِحينَ الصَّابِرِينَ، «فَيُضْرَبُ المَثَلُ بِصَبْرِ أَيُّوبَ عليه السلام، فَيُقَالُ: (صَبْرٌ كَصَبْرِ أَيُّوبَ)، وَقَدْ صَبَرَ عَلَىٰ البَلَاءِ فِي جِسْمِهِ، وَأَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ مُدَّةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً عَلَىٰ الرَّاجِحِ مِنَ الأَقْوَالِ»[1]؛ فَيُرْوَىٰ «أَنَّ أَيُّوبَ عليه السلام، كَانَ رُومِيًّا مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، اسْتَنْبَأَهُ[2] اللهُ تعالَىٰ، وَبَسَطَ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، وَكَثَّرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَكَانَ لَهُ سَبْعُ بَنِينَ وَسَبْعُ بَنَاتٍ، وَلَهُ أَصْنَافُ الْبَهَائِمِ، وَخَمْسُمِائَةِ فَدَّانٍ، يَتَّبِعُهَا خَمْسُمِائَةِ عَبْدٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ امْرَأَةٌ وَوَلَدٌ وَنَخِيلٌ، فَابْتَلَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَهَابِ وَلَدِهِ. انْهَدَمَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتُ؛ فَهَلَكُوا، وَبِذَهَابِ مَالِهِ وَبِالْمَرَضِ فِي بَدَنِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ يَوْمًا: لَوْ دَعَوْتَ اللهَ،

---

(1) تفسير آيات الأحكام، للصابوني: 1/ 513.

(2) اسْتَنْبَأَهُ: آتاهُ النُّبُوَّةَ.

فَقَالَ لَهَا: كَمْ كَانَتْ مُدَّةُ الرَّخَاءِ؟ فَقَالَتْ: ثَمَانِينَ سَنَةً، فَقَالَ: أَنَا أَسْتَحِي مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ أَدْعُوَهُ، وَمَا بَلَغَتْ مُدَّةُ بَلَائِي مُدَّةَ رَخَائِي»[1]، «وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَسَاقَطَ لَحْمُ أَيُّوبَ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَصَبُ والعظام[2]، فَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تَقُومُ عَلَيْهِ، وَتَأْتِيهِ بالرَّمَادِ يَكُونُ فِيهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ لَمَّا طَالَ وَجَعُهُ: يَا أَيُّوبُ، لَوْ دَعَوْتَ رَبَّكَ يُفَرِّجُ عَنْكَ، فَقَالَ: قَدْ عِشْتُ سَبْعِينَ سَنَةً صَحِيحًا، فهو قَلِيلٌ للهِ أَنْ أَصْبِرَ لَهُ سَبْعِينَ سَنَةً»[3]. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[4]، إِلَىٰ آخِرِ الْآيَتَيْنِ: «فَإِنَّهُ لَمَّا مَسَّهُ الْمَرَضُ، أَنْسَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ الدُّعَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ، فَيَكْشِفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ[5]، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ كَثِيرًا، وَلَا يُزِيدُهُ الْبَلَاءُ

---

(1) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 7/ 460.

(2) كثرت الروايات التي تصف ما حل بنبي الله تعالىٰ أيوب عليه السلام من مرض، وهي نُقُولٌ عن أهل الكتاب، والله تعالىٰ أعلم بالصواب.

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 5/ 316.

(4) الأنبياء: 83.

(5) يُمْكِنُ أن يُوَجَّهَ أَثَرِ ابنِ عبَّاسٍ هَذَا مِنْ نِسْيانِ أيوب عليه السلام الدُّعَاءَ، مَعَ مَا قَبْلَهُ -إِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَاتُ- مِنْ أَنَّهُ امْتَنَعَ عَنِ الدُّعَاءِ اسْتِحْيَاءً مِنْ رَبِّهِ عز وجل، هُوَ أَنْ يُحْمَلَ مَعْنَىٰ

فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا رَغْبَةً، وَحُسْنَ إِيمَانٍ. فَلَمَّا انْتَهَىٰ الْأَجَلُ، وَقَضَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ كَاشِفٌ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ؛ أَذِنَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ، وَيَسَّرَهُ لَهُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدِي أَيُّوبَ أَنْ يَدْعُوَنِي ثُمَّ لَا أَسْتَجِيبَ لَهُ)، فَلَمَّا دَعَا؛ اسْتَجَابَ لَهُ، وَأَبْدَلَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ذَهَبَ لَهُ ضِعْفَيْنِ، رَدَّ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1]»[2].

الدُّعَاءِ مِنْ أَثَرِ ابنِ عَبَّاسٍ هُوَ الافْتِقَارُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، والشِّكَايَةُ إِلَيْهِ، ولَيْسَ الدُّعَاءَ الصَّرِيحَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ بِسُؤَالِ اللهَ تَعَالَىٰ شَيْئًا، وَإِنَّما أَظْهَرَ ضَعْفَهُ وَفَقْرَهُ وَمَسْكَنَتَهُ وَحَاجَتَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، بقوله: ﴿رَبِّ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. ويُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَىٰ أنَّهُ امْتَنَعَ أَوَّلًا عَنِ الدُّعاءِ؛ ثُمَّ لمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ البَلَاءُ، وَتَرَكَهُ النَّاسُ، وظَنُّوا بِهِ سُوءًا – كَمَا فِي بَعْضِ النُّقُولاتِ– خَشِيَ علَىٰ نَفْسِهِ وعلَىٰ النَّاسِ الفِتْنَةَ؛ فَدَعَا اللهَ تَعَالَىٰ، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

(1) ص: 44.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: 16/ 365.

الصَّالِحُونَ يَرْجُونَ بَرَكَةَ المَرَضِ

لَمَّا عَلِمَ الصَّالِحُونَ عَظِيمَ بَرَكَةِ المَرَضِ؛ كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُبَارِكَ لَهُمْ فِيهِ؛ فَعَنْ شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، كَانَ شَهِدَ طَاعُونَ عَمْوَاسَ قَالَ: «لَمَّا مات أبو عبيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِطَاعُونِ عَمْوَاسَ، قَامَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَطِيبًا بَعْدَهُ؛ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَإِنَّ مُعَاذًا يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَقْسِمَ لِآَلِ مُعَاذٍ مِنْهُ حَظَّهُ. قَالَ: فَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ. قَالَ ثُمَّ قَامَ، فَدَعَا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَفْسِهِ؛ فَطُعِنَ فِي رَاحَتِهِ[1]، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ يُقَبِّلُ ظَهْرَ كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِمَا فِيكِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا»[2].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ رَافِعٍ، قَالَ: قَالَ مُعَاذٌ: «اللَّهُمَّ آتِ آلَ مُعاذٍ نَصِيبَهُمُ الأَوْفَىٰ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ؛ فَطُعِنَ ابْنَاهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدَانِكُمَا؟ قَالَا: يَا أَبَانَا، ﴿الْحَقُّ

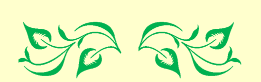
---

(1) رَاحَتِهِ: الراحة: باطن الكف، انظر: الكنز اللغوي في اللسن العربي، لابن السكيت: 1/ 208.

(2) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 1/ 189.

مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1]. قالَ: وَأَنَا ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، ثُمَّ طُعِنَتِ امْرَأَتَاهُ، فَهَلَكَتَا[3]، وطُعِنَ هُوَ فِي إِبْهَامِهِ، فَجَعَلَ يَمَسُّهَا بِفِيهِ، ويَقُولُ: اللهُمَّ، إِنَّها صَغِيرَةٌ؛ فَبَارِكِ فِيها؛ فَإِنَّكَ تُبَارِكُ فِي الصَّغِيرَةِ، حتَّىٰ هَلَكَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ»[4].

فَبُشْرَاكَ أَيُّهَا المُسْلِمُ المَرِيضُ، الصَّابِرُ عَلَىٰ قَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيكَ بِعَظِيمِ مَوْعُودِ اللهِ تعالَىٰ مِنْ: تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ، ورِفْعَةٍ فِي الدَّرَجَاتِ، وَمَرْضَاةِ رَبِّ الأَرْبَابِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!!!



---

(1) آل عمران: 60.

(2) الصافات: 102.

(3) هَلَكَتَا: ماتتا، والهلاك الموت، انظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، للعسكري: 1/ 126.

(4) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 1/ 190.

الرِّسَالَةُ الثَّانِيَةُ: تحبَّبْ إلى اللهِ تَعَالَى بِالصَّبْرِ

اعْلَمْ -أَيُّهَا المَرِيضُ- أَنَّ عَظِيمَ الأَجْرِ للمُبْتَلَيْنِ إِنَّمَا يَثْبُتُ لِمَنْ صَبَرَ عَلَىٰ مُرِّ القَضَاءِ مِنَ المَرَضِ وعُمُومِ البَلَاءِ، فالصَّبْرُ أَمْرُ اللهِ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[1]؛ والصَّابِرُ عِنْدَ اللهِ بِكُلِّ خَيْرٍ؛ فعَنْ صُهَيْبٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[2].

وَفَوْقَ هَذَا فَإِنَّ الصَّابِرَ المُتَصَبِّرَ للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مُرِّ قَضَائِهِ بِلَا شَكْوَىٰ وَلَا ضَجَرٍ حَبِيبُ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[3]، فَجَدِيرٌ

---

(1) آل عمران: 200.

(2) أخرجه مسلم: 4/ 2295، رقم: (2999).

(3) آل عمران: 146.

بالمُسْلِمِ أَنْ يَتَحَبَّبَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِدَوَامِ الصَّبْرِ والمُصَابَرَةِ لَهُ بِقَصْدِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ رَبِّ العَالَمِينَ مُنْتَهَىٰ غَايَاتِ المُقَرَّبِينَ[1].

وأَمَّا حَقِيقَةُ الصَّبْرِ عِنْدَ العُلَمَاءِ: فَهِيَ «حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ التَّسَخُّطِ بالمَقْدُورِ، وحَبْسُ اللِّسانِ عَنِ الشَّكْوَىٰ، وَحَبْسُ الجَوَارِحِ عَنِ المَعْصِيَةِ»[2]، وَقَالَ عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ المَكِّيُّ: «الصَّبْرُ هُوَ الثَّبَاتُ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَلَقِّي بَلَائِهِ بالرَّحْبِ[3] والدَّعَةِ[4]»؛ «فَهُوَ خُلُقٌ فَاضِلٌ مِنْ أَخْلَاقِ النَّفْسِ، يَمْتَنِعُ بِهِ مِنْ فِعْلِ مَا لَا يَحْسُنُ وَلَا يَجْمُلُ، وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَىٰ النَّفْسِ التِي بِهَا صَلَاحُ شَأْنِهَا وقِوَامُ أَمْرِهَا»[5].

---

(1) فتح الله تعالىٰ علينا بكتاب بعنوان: (مَحَبَّةُ رَبِّ العَالَمِينَ مُنْتَهَىٰ غَايَاتِ المُقَرَّبِينَ)، يَعْرِضُ لتعريفات المحبة ودلائلها، وأسبابها، لمَّا يُطْبَعْ بَعْدُ؛ لعلَّ الله تعالَىٰ أَنْ يُيَسِّرَ طِبَاعَتَهُ، ويعين علىٰ تكلفة طباعته.

(2) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 5.

(3) الرَّحْبُ: سَعَةُ الصَّدْرِ والتَّحَمُّلُ، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي: 1/ 134.

(4) الدَّعَةُ: السّكُونُ والهُدُوءُ والطمأنينة، انظر: المخصص، لابن سيده: 3/ 323.

(5) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 16.

رَجَاءُ الصَّابِرِينَ فِي اللهِ تَعَالَى عَظِيمٌ

ومَا يُسَلِّي الصَّابِرِينَ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ مَا يَرْجُونَهُ مِنْ عَظِيمِ الأَجْرِ وحُسْنِ المَآلِ، وعِلْمُهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَعَهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]؛ فَإِذَا شَقَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ البَلاءِ؛ فَتَذَكَّرْ قَوْلَهُ تَبَارَكَ وَتَعالَىٰ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[2]؛ يَهُنْ عَلَيْكَ، وَيَسْهُلْ، فَلَقَدْ «كانَ بعضُ العارِفِينَ فِي جَيْبِهِ رِقْعَةٌ، يُخرجُها كلَّ وقتٍ، يَنْظُرُ فيها، وفيها: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[3]»[4].

وإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَعَدَ عَلَىٰ الصَّبْرِ مَا لَمْ يَعِدْ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ عَظِيمِ الأُجُورِ، وَجَزِيلِ الهِبَاتِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ

---

(1) البقرة: 153.

(2) الطور: 48.

(3) الطور: 48

(4) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 95.

حِسَابٍ﴾[1]. قالَ البَغَوِيُّ فِي الآيَةِ: «يُرْوَىٰ أَنَّهُ يُؤْتَىٰ بِأَهْلِ الْبَلَاءِ، فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا بِغَيْرِ حِسَابٍ». وقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «كُلُّ مُطِيعٍ يُكَالُ لَهُ كَيْلًا وَيُوزَنُ لَهُ وَزْنًا إِلَّا الصَّابِرِينَ، فَإِنَّهُ يُحْثَىٰ لَهُمْ حَثْيًا»[2]. وعَنْ قَتَادَةَ، قال: «لَا وَاللهِ مَا هُنَاكُمْ مِكْيَالٌ وَلَا مِيزَانٌ»[3]. وقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ: «ثَوَابُهُمْ علَىٰ اللهِ تَعالَىٰ، بِغَيْرِ حِسابٍ، يَعْنِي: بِلَا عَدَدٍ، وَلَا انْقِطَاعٍ»[4]. وقَالَ سُلَيْمَانُ بنُ القَاسِمِ: «كُلُّ عَمَلٍ يُعْرَفُ ثَوَابُهُ إِلَّا الصَبْرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قَالَ: كَالمَاءِ المُنْهَمِرِ»[5].

لِذَلِكَ عَظُمَ قَدْرُ الصَّبْرِ عِنْدَ الصَّالِحِينَ، قَالَ الحَسَنُ: «الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الخَيْرِ، لَا يُعْطِيهِ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا لِعَبْدٍ كَرِيمٍ عِنْدَهُ»، وَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَعَاضَهُ مَكَانَهَا

---

(1) الزمر: 10.

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: 4/ 82.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: 20/ 179.

(4) بحر العلوم، للسمرقندي: 3/ 180.

(5) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 95.

الصَبْرَ إِلَّا كَانَ مَا عَوَّضَهُ خَيْرًا مِمَّا انْتَزَعَهُ، وَقَالَ مَيْمُونُ بنُ مِهْرَانَ: «مَا نَالَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ خَتْمِ الْخَيْرِ[1] نَبِيٌّ فَمَنْ دونَهُ إِلَّا بِالصَّبْرِ»[2]. يُصَدِّقُ ذَلِكَ مَا رَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ**[3]، **فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، لَمْ أَرْضَ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ**»[4].

ولمَّا عَلِمَ الصَّالِحُونَ مَا للصَّابِرِينَ عَلَىٰ أَمْرَاضِهِمْ مِنْ مَغْفِرَةٍ للذُّنُوبِ ورِفْعَةٍ للدَّرَجَاتِ في الجِنَانِ؛ آثَرُوا الصَّبْرَ عَلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ المَرَضِ عَلَىٰ العَافِيَةِ العَاجِلَةِ؛ رَجَاءَ مَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الكَرَامَةِ؛ فَعَنْ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي**

---

(1) معنىٰ خَتْم الخَيْر: نِهَايَتُهُ وغَايَتُهُ وأَقْصَاه، وخَاتِمُ كلِّ شَيْء: آخِرُهُ، والمعنىٰ: نِهَايَةُ الخيرِ وغايَتُهُ إِنَّما تُنَالُ بالصَّبْرِ، ولَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ إِلَّا بالصَّبْرِ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 7/ 137.

(2) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 95.

(3) حَبِيبَتَيْهِ: تَثْنِيَةُ حَبِيبَة، والمُرَادُ بِهِمَا: عَيْنَاهُ، وأَطْلَقَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُمَا أَحَبُّ أَعْضَاءِ الإِنْسَانِ إِلَيْهِ، وأَنْفَعُهُمَا، انظر: الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية، للمناوي: 1/ 14.

(4) أخرجه أحمد في مسنده: 12/ 39، رقم: (7597)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»[1].

فانْظُرْ كَيْفَ اخْتَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَهُو الحَرِيصُ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ، وَهُوَ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ- لِهَذِهِ المَرْأَةِ حالَ الصَّبْرِ عَلَىٰ المَرَضِ عَلَىٰ العَافِيَةِ العَاجِلَةِ فِي بَدَنِها؛ لِعِلْمِهِ ﷺ أَنَّهُ أَنْفَعُ لَهَا فِي آخِرَتِهَا، ثُمَّ انْظُرْ رِضَا المَرْأَةِ بِذَلِكَ، مَعَ حِرْصِهَا عَلَىٰ العَافِيَة فِي دِينِهَا؛ لِذَلِكَ سَأَلَتْ أَنْ لَا تَتَكَشَّفَ؛ وأَنْ لَا تَظْهَرَ عَوْرَتُهَا.

وَبِمِثْلِ هَذَا لَمْ يَزَلِ المُسْلِمُونَ يُواسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مِنْ ذَلِكَ أنه: «لَمَّا ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ خَرَجَ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ رضي الله عنه مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاهَدَ، ثُمَّ سَارَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ الْيَمَامَةِ وَمَعَهُ ابْنُهُ عَمْرٌو، فَقُتِلَ الطُّفَيْلُ بِالْيَمَامَةِ، وَقُطِعَتْ يَدُ ابْنِهِ. وبَيْنَا عَمْرُو بنُ الطُّفَيْلِ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، إِذْ أُتِيَ بِطَعَامٍ، فَتَنَحَّىٰ عَنْهُ عَمْرٌو، فقال عُمَرُ رضي الله عنه: مَالَكَ، لَعَلَّكَ تَنَحَّيْتَ لِمَكَانِ يَدِكَ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 7/ 116، رقم: (5652)، ومسلم: 4/ 1994، رقم: (2576).

المَقْطُوعَةِ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: واللهِ لَا أَذُوقُهُ حتَّىٰ تَخْلِطَهُ[1] بِيَدِكَ، فَواللهِ مَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ بَعْضُهُ فِي الْجَنَّةِ غَيْرُكَ. ثُمَّ خَرَجَ عَامَ الْيَرْمُوكِ فِي خِلافَةِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَقُتِلَ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ»[2].

(1) فِي الأَصْلِ، (تَسُوطَهُ)، بدلَ: (تَخْلِطُهُ)، والمَعْنَىٰ واحِدٌ، انظر: مَادَّةَ (سَطَو) فِي مُعْجَمِ جَمْهَرَةِ اللُّغَةِ، لابن دُرَيْدٍ: 2/ 838.

(2) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي: 4/ 154.

السَّبِيلُ إِلَى تَسْهِيلِ الصَّبْرِ

وَإِنَّ مِمَّا يُسَهِّل الصَّبْرَ: عِلْمُ العَبْدِ الصَّابِرِ أَنَّ المُبْتلِيَ هُوَ اللهُ تَعالَىٰ، الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ البَلاءَ مِنْهُ رَحْمَةٌ بِعَبْدِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «فَهَكَذَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ لَا يمْنَعُ عَبدَهُ الْمُؤْمِنَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا؛ إِلَّا وَيُؤْتِيهِ أَفْضَلَ مِنْهُ وأَنْفَعَ لَهُ، وَلَيسَ ذَلِكَ لِغَيْرِ الْمُؤمن؛ فَإِنَّهُ يَمْنَعُهُ الْحظَّ الْأَدْنَىٰ الخَسِيسَ، وَلَا يَرْضَىٰ لَهُ بِهِ؛ لِيُعْطِيَهُ الْحظَّ الْأَعْلَىٰ النَّفِيسَ»[1]. وبِمِثْلِ هَذَا كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُواسِي مَرْضَىٰ أَصْحَابِهِ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفْزِفِينَ؟ قَالَتْ: الْحُمَّىٰ، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: لَا تَسُبِّي الْحُمَّىٰ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[2].

---

(1) الفوائد، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 57.

(2) أخرجه مسلم: 4/ 1993، رقم: (2575).

ومَعْنَىٰ تُزَفْزِفِينَ: تَرْتَعِدِينَ، وتَتَحَرَّكِينَ حَرَكَةً شَدِيدَةً[1]. والكِيرُ: مَوْضِعُ نَارِ الحَدَّادِ والصَّائِغِ[2]. وَمَعْنَىٰ الحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أُمَّ السَّائِبِ عَنْ سَبِّ الحُمَّىٰ التِي هِيَ السُّخُونَةُ وارْتِفَاعُ حَرَارَةِ البَدَنِ، وأَلَّا تَتَسَخَّطَ الألَمَ، وَبَشَّرَها أَنَّ الحُمَّىٰ والسُّخُونَةَ التِي تُصِيبُ المُسْلِمَ الصَّابِرَ تُطَهِّرُهُ مِنَ الذُّنُوبِ، والتِي هِيَ خَبَثُ الإِنْسَانِ، كَمَا تَصْهَرُ النَّارُ المَعْدِنَ، وَتُنَقِّيهِ، وتُخْرِجُ خَبَثَهُ؛ فَيَبْقَىٰ المَعْدِنُ والجَوْهَرُ نَقِيًّا صَافِيًا.

ومِمَّا يُسَهِّلُ الصَّبْرَ أَنْ يَنْظُرَ العَبْدُ فِيما أَبْقَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مِنْ عَافِيَةٍ فِي بَدَنِهِ هِيَ أَعْظَمُ مِمَّا أَصَابَهُ؛ فعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي يَدِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ قَرْحَةً، فَكَأَنَّهُ رَأَىٰ مَا قَدْ شَقَّ عَلَيَّ مِنْهَا، فَقَالَ لِي: تَدْرِي مَا عَلَيَّ فِي هَذِهِ الْقُرْحَةِ مِنْ نِعْمَةٍ؟، قَالَ: فَسَكَتَ، قَالَ: حَيْثُ لَمْ يَجْعَلْهَا عَلَىٰ حَدَقَتِي، وَلَا عَلَىٰ طَرَفِ لِسَانِي، وَلَا عَلَىٰ طَرَفِ ذَكَرِي، قَالَ: فَهَانَتْ عَلَيَّ قُرْحَتُهُ»[3].

---

(1) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: 16/ 131.

(2) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر: 23/ 171.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 2/ 352.

العَزَاءُ[1] بِأَخْبَارِ أَهْلِ البَلَاءِ

وَمِمَّا يَتَعَزَّىٰ بِهِ أهلُ البَلَاءِ وَيُواسَوْنَ؛ ذِكْرُ أَخبَارِ أَهْلِ البَلَاءِ مِمَّنْ ابْتُلُوا بِأَعْظَمَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ مَرَضٍ وأَشَدَّ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ شِدَّةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا وَفَوْقَهَا وأَشَدُّ مِنْهَا فِي النَّاسِ الكَثِيرُ، وَيَحْسُنُ بِمَنْ يَحْضُرُ مَرِيضًا شَقَّ عَلَيْهِ مَرَضُهُ أَنْ يُسَلِّيَهُ وَيُهَوِّنَ عَلَيْهِ بِذِكْرِ أَخْبَارِ مَنِ ابْتُلُوا بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَصَبَرُوا أَعْظَمَ الصَّبْرِ، وَلَا يَزَالُونَ يَرْوُونَ لَهُ مِنْ أَخْبَارِ الصَّابِرِينَ؛ حَتَّىٰ يَرَىٰ أَنَّهُ فِي نِعْمَةٍ وَنُزْهَةٍ مِمَّا أَصَابَ غَيْرَهُ مِنَ الأَمْرَاضِ تَسْتَحِقُّ الحَمْدَ والثَّنَاءَ الكَثِيرَ؛ فَإِنَّ تَعْزِيَةَ المُسْلِمِ أَخَاهُ المُسْلِمَ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ عَزَّىٰ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مُصِيبَةٍ؛ كَسَاهُ اللهُ**

---

(1) العَزَاءُ: الصَّبْرُ عَنْ كُلِّ مَا فَقَدْتَ، والتَّعْزِيَةُ التَّصْبِيرُ والمُواسَاةُ، وَعَزَّاهُ: صَبَّرَهُ وَوَاسَاهُ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 15/ 52.

عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُلَّةً[1] خَضْرَاءَ يُحْبَرُ[2] بِهَا، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَا يُحْبَرُ بِهَا؟ قَالَ: يُغْبَطُ[3] بِهَا»[4].

---

(1) الحُلَّة: ثَوْبانِ: إِزارٌ، يُلْبَسُ أَسْفلَ البَدَنِ ورداءٌ، يُلْبَسُ أعلىٰ البَدَنِ، ولا تكونُ حُلَّةً إلَّا وَهِيَ جَدِيدَةٌ، وسُمِّيَتْ حُلَّةً لأنها تُحَلُّ من طَيِّهَا فَتُلْبَس، انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: 1/ 108.

(2) الحُبُورُ: السُّرُورُ الذِي يَظْهَرُ فِي الوَجْهِ أَثَرُهُ، فَهُوَ أَشَدُّ السُّرُورِ، انظر: معجم الفروق اللغوية، للعسكري: 1/ 175.

(3) الغِبْطَةُ: حُسْنُ الحَالِ ودَوَامُ المَسَرَّةِ والخَيْرِ، انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: 4/ 410.

(4) أخرجه الطبراني في الدعاء: 1/ 469، رقم: (1226)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: 8/ 304، وابن عساكر في تاريخ دمشق: 53/ 308، رقم: (6169)، وحسَّنه الألباني.

مُبْتَلًى يُواسَى بِمُبْتَلًى

وَمِنْ طَرِيفِ مَا يُذْكَرُ فِي تَعْزِيَةِ المَرْضَىٰ والمُصَابِينَ وَمُوَاسَاتِهِمْ مَا ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ: «أنَّ خليفةَ المُسلمينَ الوليدَ بْنَ عبدِ المَلِكِ دَعَا عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ لزيارتِه في دمشقَ؛ فَلَبَّىٰ دعوتَه، وصَحِبَ معهُ أكبرَ بَنِيهِ، وَحَدَثَ في زيارتِه أنَّ ابنَ عُرْوةَ دخلَ إِصْطَبْلَ الوليدِ؛ لِيتَفَرَّجَ علىٰ نَجائِبِ الخُيولِ، فَرَمَحَتْهُ دابةٌ رَمْحَةً قاضيةً؛ أَوْدَتْ بحياتِهِ، ولمْ يَكَدِ الأبُ المَفْجُوعُ يَنْفُضُ يَدَيْهِ مِنْ تُرَابِ قَبْرِ وَلَدِهِ حتَّىٰ أصابَ إِحْدَىٰ قَدَمَيْهِ الأَكِلَةُ[1]، فَأَجْمَعَ الأَطِبَّاءُ علىٰ أنَّه لا مَنْدُوحَةَ[2] مِنْ بَتْرِ ساقِ عُرْوَةَ، قَبْلَ أنْ يَسْرِيَ الدَّاءُ في جَسَدِهِ كُلِّهِ؛ فَيَقْتُلَهُ.

---

(1) الْأَكِلَةُ: داءٌ فِي العُضْوِ، يَأْتَكِلُ مِنْه مِنَ الحِكَّةُ، وَهُوَ كالجُذَامِ، انظر: تاج العروس، للزبيدي: 28/ 12، والاستذكار، لابن عبد البر: 5/ 421.

(2) مَنْدُوحَةٌ: سَعَةٌ، والنَّدْحُ: السَّعَةُ والفُسْحَةُ، تَقول: إِنَّك لَفي نَدحَةٍ من الأمْرِ ومَنْدوحَةٍ مِنْهُ، أي في سعة منه، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 4/ 245.

ولَمَّا حضرَ الجَرَّاحُ لِبَتْرِ السَّاقِ، وأَحْضَرَ معهُ مَبَاضِعَهُ[1] لِيَشُقَّ اللَّحْمَ، ومَنَاشِرَهُ لِنَشْرِ العَظْمِ، قالَ الطبيبُ لِعروةَ: أَرَىٰ أنْ نَسقِيَكَ جُرْعَةَ مُسْكِرٍ؛ كَي لا تشعرَ بالآلامِ المُبَرِّحَةِ؛ فقالَ عُرْوَةُ: هَيْهَاتَ، لا أَسْتَعِينُ بِحَرامٍ عَلَىٰ ما أَرْجُوهُ مِنَ العافيةِ، فقالَ: إِذَنْ نَسْقِيَكَ المُخَدِّرَ، فقالَ: ما أُحِبُّ أنْ أُسْلَبَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِي دُوْنَ أنْ أَشْعُرَ بأَلَمِهِ، وأَحْتَسِبَ ذلكَ عندَ اللهِ تَعَالَىٰ، ولَمَّا جِيءَ بِالْمُمْسِكِينَ، قالَ عروةُ: رُدُّوهُمْ، لا حاجةَ لي بِهِمْ، إنِّي لَأَرْجُو أنْ أَكْفِيَكُمْ ذلكَ بِالذِّكْرِ والتَّسْبِيحِ، ثمَّ أَقْبَلَ الطبيبُ، فقطَعَ اللَّحْمَ بِالْمِبْضَعِ، ولَمَّا بلغَ العَظْمَ، وطَفِقَ يَنْشُرُ، وعُرْوةُ يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، حتَّىٰ بُتِرَتِ الساقُ، ثمَّ جِيءَ بالزَّيْتِ المَغْلِيِّ، وغُمِسَتْ بهِ ساقُ عُرْوةَ؛ لإيقافِ تَدَفُّقِ الدَّمِ؛ فَأُغْمِي علىٰ عروةَ إِغْماءَةً طويلةً، فَاتَهُ فيها وِرْدُهُ من قراءَةِ القرآنِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ منذُ صَدْرِ شَبَابِهِ، فلمَّا أَفَاقَ، دَعا بِقَدَمِهِ المَبْتُورةِ، فَجَعلَ يُقَلِّبُهَا، ويقولُ: أَمَا والذِي حَمَلَنِي عَلَيْكِ فِي عَتَمَاتِ الليلِ إِلَىٰ المساجدِ، إنَّه لَيَعْلَمُ أَنَّنِي ما مَشَيْتُ بكِ فِي حَرَامٍ قَطُّ. ثمَّ تَمَثَّلَ بِأَبْيَاتٍ لِأَوْسِ بنِ مَعْنٍ، قالَ فِيها:

---

(1) مَبَاضِعُ: جَمْعُ مِبْضَعٍ، والمِبْضَعُ: المِشْرَطُ، انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية: 1/ 60.

لَعَمْــرُكَ ما أَهْـوَيْتُ كَفِّـي لِـرِيبَةٍ

ولا حَمَلَتْنِـي نَحْوَ فَـاحِشَـةٍ رِجْلِي

ولا قَـادَنِي سَمْعِـي ولا بَصَرِي لَهَا

ولا دَلَّنِي رَأْيِـي عليهـا ولا عَقْلِــي

وأَعْلَـمُ أَنِّـي لـمْ تُصِبْنِـي مصيبـةٌ

مِنَ الدَّهْرِ إلا قَدْ أَصابَتْ فَتًىٰ قَبْلِـي

فَشَقَّ عَلَىٰ الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ ما نَزَلَ بضيفهِ، وجَعَلَ يَحْتَالُ لِتَعْزِيَتِه وتَصْبِيرِهِ علىٰ مَا أَصَابَه، وَوَافَقَ ذلكَ نزولَ جماعةٍ مِنْ بَنِي (عَبْسٍ) فِيهِمْ رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ، فَسَأَلَه الوليدُ عنْ سَبَبِ كَفِّ بَصَرِهِ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، لمْ يَكُنْ في عَبْسٍ رجلٌ أَوْفَرَ مِنِّي مالًا، ولا أكثرَ أهلًا ولا ولدًا، فَنَزَلْتُ مَعَ مالِي وعِيالِي في بَطْنِ وادٍ مِنْ منازلِ قَوْمِي، فَطَرَقَنَا سَيْلٌ، لمْ نَرَ مِثْلَهُ قَطُّ؛ فَذَهبَ السيلُ بما كانَ لِي مِنْ مالٍ، وأهلٍ، وولدٍ، ولمْ يتركْ لِي غيرَ بَعِيرٍ واحدٍ، وطِفْلٍ صغيرٍ، وكانَ البعيرُ صَعْبًا؛ فَنَدَّ[1] مِنِّي؛ فَتَرَكْتُ الصَّبِيَّ علَىٰ الأرضِ، ولَحِقْتُ بالبعيرِ، فَلَمْ أُجَاوِزْ مكانِي قليلًا حتَّىٰ سمعتُ صيحةَ الطفلِ؛ فالْتَفَتُّ، فإذا رأْسُهُ في فَمِ الذِّئْبِ، وهوَ يأكلُهُ؛

(1) نَدَّ البعيرُ: إذا نَفَرَ وَشَرَدَ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 14/ 51.

فَبَادَرْتُ إليهِ، غيرَ أنِّي لمْ أستطِعْ إنقاذَهُ؛ إذْ كانَ قدْ أتَىٰ عليهِ، فَلَحِقْتُ بالبعيرِ، فلمَّا دَنَوْتُ منهُ، رَمَانَي بَرَجْلِه علَىٰ وَجْهِي رَمْيَةً حَطَّمَتْ جَبِينِي، وأَذْهَبَتْ بَصَرِي؛ فَوَجَدْتُ نَفْسِي قدْ غَدَوْتُ فِي لَيْلَةٍ واحدةٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلٍ ولَا ولدٍ ولا مالٍ ولا بَصَرٍ... فقالَ الوليدُ لِحَاجِبِهِ[1]: انْطَلِقْ بهذا الرَّجُلِ إلىٰ ضِيفِنَا عروةَ، ولْيَقُصَّ عليهِ قِصَّتَهُ؛ لِيَعْلَمَ أنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هوَ أعظمُ مِنْهُ بلاء. ولمَّا حُمِلَ عروةُ إلىٰ المدينةِ، وأُدْخِلَ علىٰ أَهْلِهِ، بادَرَهُمْ قائِلًا: لا يَهُولَنَّكُم[2] ما تَرَوْنَ، ثُمَّ قالَ: اللهمَّ إنَّه كانَ لِي أطرافٌ أربعةٌ، فَأَخَذْتَ واحدًا، وأَبْقَيْتَ ثلاثةً؛ فلكَ الحمدُ، وكانَ لي بنونَ أربعةٌ، فأخذتَ واحدًا، وأبقيتَ لي ثلاثةً؛ فلكَ الحمدُ، وايمُ اللهِ، لَئِنْ أَخَذْتَ؛ لَقَدْ أَبْقَيْتَ، ولَئِنْ ابْتَلَيْتَ؛ طَالَمَا عافَيْتَ»[3].

---

(1) الحَاجِبُ: البَوَّابُ، فَهُوَ يَحْجِبُ مَنْ يَشَاءُ عَنِ الدُّخُولِ عَلَىٰ المُلُوكِ والأُمَراءِ، وَيَأْذَنُ لِمَنْ يَشَاءُ، انظر: القاموس الفقهي، لسعدي حبيب: 1/ 76.

(2) يَهُولُ: يُفْزِعُ، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 3/ 2376.

(3) انظر: صور من حياة التابعين، للدكتور عبد الرحمن الباشا: 1/ 44، 45، 46، 47.

وَفِي خَبَرِ أَبِي قِلابَةَ مَزِيدُ تَسْرِيَةٍ[1]

وَفِي خَبَرِ أَبِي قِلابَة الجَرْمِيِّ صاحِبِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مَزِيدُ تَسْرِيَةٍ، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِهِ مَا رَوَىٰ الأوزاعيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ، قالَ: «خرجْتُ إلىٰ ساحلِ البحرِ مُرابِطًا، وكانَ رِباطُنَا يومئذٍ عريشَ مِصْرَ، قالَ: فلمَّا انتهيتُ إلىٰ الساحلِ، فإذا أنا بِبَطِيحةٍ[2]، وفىٰ البطيحةِ خيمةٌ فِيهَا رجلٌ، قدْ ذهبتْ يداهُ ورِجْلاهُ، وثَقُلَ سمعُهُ وبصرُهُ، وما لَهُ مِنْ جارحةٍ تَنْفَعُهُ إلا لسانُهُ، وهو يقولُ: اللهمَّ أَوْزِعْنِي أنْ أَحْمدَكَ حَمْدًا أُكَافِئُ بِهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ التِي أنعمتَ بِهَا عليَّ، وفَضَّلْتَنِي علىٰ كثيرٍ مِمَّنْ خلقتَ تفضيلًا، قالَ الأوزاعِيُّ: قال: عبدُ اللهِ، قلتُ: واللهِ لآتِيَنَ هذا الرجلَ، ولَأَسْأَلَنَّهُ أَنَّىٰ لهُ هذا الكلامُ؟! فَهْمٌ؟ أَمْ عِلْمٌ؟ أَمْ إلهامٌ أُلْهِمَ؟! فَأَتَيْتُ الرجلَ، فَسَلَّمْتُ عليهِ، فقلتُ: سمعتُكَ وأنتَ تقولُ: اللهمَّ أَوْزِعْنِي أنْ أَحْمدَكَ حَمْدًا أُكَافِئُ بِهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ التِي

---

(1) التَسْرِيَةِ: كَشْفُ الهَمِّ وإِزَالَتُهُ، انظر: تاج العروس، للزبيدي: 38/ 274، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 2/ 1061.

(2) البَطِيحَةُ: الأَرْضُ المُنْبَسِطَةُ، انظر: جمهرة اللغة، لابن دُرَيْدٍ: 1/ 280.

أنعمتَ بها عليَّ، وفَضَّلْتَنِي علىٰ كثيرٍ مِمَّنْ خلقتَ تفضيلًا، فأيُّ نِعْمةٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ عليكَ تحمدُهُ عليها؟! وأيُّ فَضِيلَةٍ تَفَضَّلَ بها عليكَ؛ تَشْكُرُهُ عليها؟! قالَ: وما تَرَىٰ ما صَنَعَ رَبِّي؟ واللهِ لوْ أَرْسَلَ السماءَ عليَّ نارًا؛ فَأَحْرَقَتْنِي، وأَمَرَ الجِبَالَ؛ فَدَمَّرَتْنِي، وأَمَرَ البِحَارَ؛ فَأَغْرَقَتْنِي، وأَمَرَ الأرضَ؛ فَبَلَعَتْنِي؛ ما ازْدَدْتُ لِرَبِّيٰ إلا شُكْرًا؛ لِمَا أَنْعَمَ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي هَذا، ولَكِنْ يا عبدَ اللهِ، إذْ أَتَيْتَنِي؛ لِي إليكَ حاجةٌ، قدْ ترانِي علَىٰ أيِّ حالةٍ أَنَا؟ أَنا لستُ أَقْدِرُ لِنَفْسِي علىٰ ضرٍّ ولا نَفْعٍ، ولقدْ كانَ معِي بُنَيٌّ لي يَتَعاهَدُنِي في وَقْتِ صلاتِي؛ فَيُوَضِّينِي، وإذا جُعْتُ؛ أَطْعَمَنِي، وإذا عَطِشْتُ؛ سَقَانِي، ولقدْ فَقَدْتُهُ منذُ ثلاثةِ أيامٍ، فَتَحَسَّسْه لي؛ رَحِمَكَ اللهُ؛ فقلتُ: واللهِ ما مَشَىٰ خَلْقٌ في حاجةِ خَلْقٍ كانَ أعظمَ عندَ اللهِ تَعالَىٰ أجرًا مِمَّنْ يمشِي في حاجةِ مثلِكَ، فَمَضَيْتُ في طَلَبِ الغُلامِ، فما مَضَيْتُ غيرَ بعيدٍ، حتَّىٰ صِرْتُ بينَ كُثْبَانٍ منَ الرَّمْلِ، فإذا أنا بالغلامِ قَدِ افْتَرَسَهُ سَبُعٌ، وأَكَلَ لَحْمَهُ؛ فَاسْتَرْجَعْتُ، وقلتُ: أَنَّىٰ لِي وَجْهٌ رَقِيقٌ آتِي به الرَّجُلَ، فبينما أنا مُقْبِلٌ نحوَه، إذ خَطَرَ علَىٰ قَلْبِي ذِكْرُ أَيُّوبَ النبي ﷺ، فلمَّا أَتَيْتُهُ، سَلَّمْتُ عليهِ؛ فرَدَّ عَلَيَّ السلامَ، فقالَ: أَلَسْتَ بِصاحِبِي، قلتُ: بَلَىٰ، قال: ما فعلتَ في حاجَتِي؟ فقلتُ: أَنْتَ أكرمُ علىٰ اللهِ تَعالَىٰ، أَمْ أيوبُ النبيُّ ﷺ؟ قال: بل أيوبُ النبيُّ ﷺ، قلتُ: هلْ

عَلِمْتَ ما صنعَ بِهِ ربُّه؟ أليسَ قدِ ابْتَلاهُ بمالِه وآلِه وولَدِهِ؟ قال: بَلَىٰ، قلتُ: فكيفَ وَجَدَهُ؟ قالَ: وَجَدَهُ صابرًا شاكرًا حامدًا، قلتُ: لَمْ يَرْضَ مِنْهُ ذلكَ حتَّىٰ أُوْحِشَ من أَقْرِبائِه وأَحِبَّائِهِ، قالَ: نعم، قلتُ: فكيفَ وَجَدَهُ ربُّهُ؟ قال: وَجَدَهُ صابرًا شاكرًا حامدًا، قلتُ: فَلَمْ يَرْضَ مِنْهُ بِذَلِكَ حتَّىٰ صَيَّرَهُ عَرَضًا[1] لِمَارِّ الطَّرِيقِ، هلْ عَلِمْتَ؟ قالَ: نَعم، قلتُ: فكيفَ وَجَدَهُ ربُّهُ؟ قال: صابرًا شاكرًا حامدًا. فقَالَ: أَوْجِزْ؛ رَحِمَكَ اللهُ، قلتُ: لَهُ: إنَّ الغلامَ الذِي أَرْسَلْتَنِي في طَلَبِه وَجدْتُه بين كُثْبَانِ الرَّمْلِ، وقدْ افْتَرَسَهُ سَبُعٌ، فأكلَ لَحْمَهُ؛ فأَعْظَمَ اللهُ لَكَ الأَجْرَ، وأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ، فَقَال المُبْتَلَىٰ: الحمدُ للهِ الذِي لمْ يَخْلُقْ مِنْ ذُرِّيَّتِي خَلْقًا يَعْصِيهِ؛ فيعذبهُ بالنارِ، ثمَّ اسْتَرْجَعَ، وشَهقَ شَهْقَةً؛ فَمَاتَ، فقلتُ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ؛ عَظُمَتْ مُصِيبَتِي؛ رَجُلٌ مثلُ هذا إنْ تَرَكْتُهُ؛ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ، وإنْ قَعَدْتُ لمْ أَقْدِرْ علَىٰ ضُرٍّ ولا نَفْعٍ، فَسَجَّيْتُهُ[2] بِشَمْلَةٍ[3]

---

(1) أي: يَعْتَرِضُهُ النَّاسُ فِي طَرِيقِهِمْ، وَيُؤْذُونَهُ بِكَلامِهِمْ.

(2) سَجَّيْتُهُ: غَطَّيْتُهُ، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 2/ 1038.

(3) الشَّمْلَةُ: كِسَاءٌ يَتَغَطَّىٰ بِهِ، ويُتَلَفَّفُ فِيهِ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 2/ 501.

كانتْ عَلَيْهِ، وقَعَدْتُ عندَ رَأْسِهِ باكيًا، فبينما أنا قاعدٌ إذْ تهجَّمَ[1] عَلَيَّ أربعةُ رجالٍ، فقالوا: يا عبدَ اللهِ ما حالُكَ؟ وما قِصَّتُكَ؟ فَقَصَصْتُ عليهمْ قِصَّتِي وقِصَّتَه، فقالوا لِي: اكْشِفْ لنا عنْ وَجْهِهِ، فَعَسَىٰ أنْ نَعْرِفَهُ؛ فَكَشَفْتُ عن وجهِهِ فانْكَبَّ القومُ عليهِ يُقَبِّلُونَ عِينَيْهِ مرةً، ويَدَيْهِ أُخْرَىٰ، ويقولون: بأَبِي عينٌ طَالَمَا غَضَّتْ عن محارمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وبأَبِي جِسْمٌ طالمَا كنتَ ساجدًا، والناسُ نِيَامٌ، فقلتُ: مَنْ هذا؛ يَرْحَمُكُمُ اللهُ؟ فقالوا: هذا أبو قِلَابَةَ الجَرْمِيُّ، صاحبُ ابنِ عَبَّاسٍ، لقدْ كانَ شديدَ الحُبِّ للهِ تَعالَىٰ، وللنبيِّ ﷺ؛ فَغَسَّلْنَاهُ، وكَفَّنَّاهُ بأثوابٍ كانَتْ مَعَنَا، وَصَلَّيْنَا عليهِ، ودَفَنَّاهُ، فانْصَرَفَ القومُ، وانصرفْتُ إلىٰ رِبَاطِي، فلمَّا أنْ جَنَّ[2] عَلَيَّ الليلُ، وضَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُهُ فيما يَرَىٰ النائمُ في رَوْضَةٍ من رِياضِ الجنةِ، وعليه حُلَّتَانِ من حُلُلِ الجنةِ، وهو يَتْلُو الوَحْيَ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[3]، فقلتُ: أَلَسْتَ بِصاحِبِي؟! قال: بَلَىٰ، قلتُ: أَنَّىٰ لكَ هذا؟! قال: إنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ دَرَجَاتٍ لا تُنالُ

---

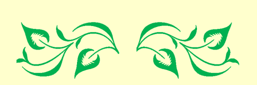
(1) المقصود بكلمة (تَهَجَّمَ) هنا: أنهم نزلوا عليه بغتة، من غير سابق موعد.

(2) جَنَّ اللَّيْلُ: أَظْلَمَ، انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: 1/ 156.

(3) الرعد: 24.

إلا بالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ، والشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، مَعَ خَشْيَةِ اللهِ ﷻ في السِّرِّ والعَلَانيةِ»[1].

أَلَا، فَاصْبِرْ وتَصَبَّرْ للهِ تَعَالَىٰ، وَصَابِرْ نَفْسَكَ عَلَىٰ مَا بِكَ مِنْ مَرَضٍ وَبَلَاءٍ، والزَمْ ثَغْرَ الصَّبْرِ مُرَابِطًا عليه؛ واهْنَأْ بِالفَلَاحِ، وبِأَجْرٍ تُوَفَّاهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].



(1) الثقات، لابن حبان: 5/ 3.

(2) آل عمران: 200.

الرِّسَالَةُ الثَّالِثَةُ: والرِّضا فوقَ الصَّبرِ

إنَّ للهِ عِبَادًا يُحِبُّهم وَيُحِبُّونَهُ، أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، فَمَا بَلَغُوا رِضْوانَ اللهِ تَعالَىٰ إلا بِرِضَاهُمْ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَا يُدْرِكُ خيْرُ الدُّنْيَا ونَعِيمُ الآخِرَةِ بِمِثْلِ الرِّضَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، فَالرِّضَا مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ العِبَادِ رَفِيعَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا أَعْظَمَ التَّرْغِيبِ، وَهِيَ مَرْتَبَةٌ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الصَّبْرِ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا الأَقْوِياءُ فِي دِينِهِمْ، وَيَقِينِهِمْ باللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والرِّضَا فَوْقَ الصَّبْرِ؛ إِذِ الرِّضَا حَالَةٌ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ القَلْبِيَّةِ، والسَّكِينَةِ النَّفْسِيَّةِ يَجِدُهَا الرَّاضِي حالَ المَرَضِ والابْتِلَاءِ، لَا يَجِدُهَا سِوَاهُ؛ وأَمَّا حَقِيقَةُ الرِّضَا؛ فَقَدْ قَالَ فِيهَا الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ: «رِضَا العبد عن اللهِ تَعَالَىٰ: أَنْ لَا يَكْرهَ مَا يَجْرِي بِهِ قضاؤُهُ، ورِضَا اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنِ العبدِ: هوَ أَنْ يَراهُ مُؤْتَمِرًا بِأَمْرِهِ، ومُنْتهيًا عَنْ نَهْيِهِ». وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: «الرِّضَا سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَىٰ قَدِيمِ

---

(1) المائدة: 119.

اخْتِيَارِ اللهِ تعالَىٰ لِلْعَبْدِ، أَنَّهُ اخْتَارَ لَهُ الْأَفْضَلَ؛ فَيَرْضَىٰ بِهِ»[1]. وقَالَ الجُرْجَانِيُّ: «الرِّضَا: سُرُورُ القَلْبِ بِمُرِّ القَضَاءِ»[2]. وقَالَ المُنَاوِيُّ: «الرِّضَا طِيبُ نَفْسِيٌّ للإِنْسانِ بِمَا يُصِيبُهُ أَوْ يَفُوتُهُ مَعَ عَدَمِ التّغيُّرِ»[3].

وقَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «طَرِيقُ الرِّضَا طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ، قَرِيبَةٌ جِدًّا، مُوصِلَةٌ إِلَىٰ أَجَلِّ غَايَةٍ، وَلَكِنَّ فِيهَا مَشَقَّةً، وَإِنَّمَا مَشَقَّتُهَا هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَنَفْسٌ زَكِيَّةٌ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ اللهِ»[4]. وعَنْ قَادِمٍ الدَّيْلَمِيِّ الْعَابِدِ، قَالَ: «قُلْتُ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: مَنِ الرَّاضِي عَنِ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ غَيْرِ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي جُعِلَ فِيهَا»[5].

وَلَقَدْ كانَ الصَّالِحُونَ يَعُدُّونَ عَدَمَ الرِّضَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الذُّنُوبِ التِي تَسْتَوْجِبُ التَّوْبَةَ والاسْتِغْفَارَ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: ذَنْبٌ أَذْنَبْتُهُ. أَنَا أَبْكِي عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً. قِيلَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: قُلْتُ لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللهِ: لَيْتَهُ لَمْ

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 173.

(2) التعريفات، للجرجاني: 1/ 111.

(3) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمُنَاوِي: 1/ 178.

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 173.

(5) الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: 1/ 58.

يَقْضِهِ، أَوْ لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَوْ قُرِضَ لَحْمِي بِالْمَقَارِيضِ؛ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ: لَيْتَهُ لَمْ يَقْضِهِ»[1].

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 217.

السَّبِيلُ إِلَى تَسْهِيلِ الرِّضَا

والذِي يُسَهِّلُ الرِّضَا عَلَىٰ المَرِيضِ وَعَلَىٰ كُلِّ مُبْتَلًى، عِلْمُ العَبْدِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِيمٌ حَكِيمٌ: لَا يَقْضِي لِعِبَادِهِ إِلَّا مَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ، وَإِنْ خَفِيَتْ عَنْهُمْ عَيْنُ المَصْلَحَةِ، ثُمَّ عِلْمُهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ: أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْ آبائِهِمْ وأُمَّهَاتِهِمْ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَعَلَىٰ العَبْدِ الرَّاضِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يَنْظُرَ إِلَىٰ البَلَاءِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْ أَنْزَلَ بِهِ البَلَاءَ، فالذِي يَأْتِي بِهِ المَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ؛ وَإِنْ كَانَ مَبْغُوضًا للنَّفْسِ؛ فعَنِ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ: «إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَهُوَ يَمُوتُ، فَهُوَ يُغْمَىٰ عَلَيْهِ مَرَّةً، وَيَفِيقُ مَرَّةً، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ إِفَاقَتِهِ: اخْنُقْ خَنْقَكَ؛ فَوَعِزَّتِكَ إِنَّنِي أُحِبُّكَ»[1].

ثُمَّ عِلْمُهُ أَنَّ مَوْعُودَ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْهِمْ رِضْوانَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ**

(1) الثبات عند الممات، لابن الجوزي: 1/ 118.

رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبِّ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

كَمَا يُسَهِّلُ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ الدُّعَاءُ وَسُؤَالُ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يُرَضِّيَهُ عَنْ قَضَائِهِ؛ فَإِنَّ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ ﵁ كَانَ كَثِيرًا مَا يَدْعُو: «اللهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدْرَكَ؛ حَتَّىٰ لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ شَيْءٍ أَخَّرْتَهُ، وَلَا تَأْخِيرَ شَيْءٍ عَجَّلْتَهُ»[2].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 9/ 151، رقم: (7518)، ومسلم: 4/ 2176، رقم: (2829).

(2) شعب الإيمان، للبيهقي: 1/ 394.

رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى أَكْبَرُ

ثُمَّ إِنَّ رِضْوانَ اللهِ تَعالَىٰ لِعِبَادِهِ زِيادَةٌ عَلَىٰ مُجَرَّدِ المُتْعةِ المُجَرَّدَةِ، قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [1]. قَالَ الآلُوسِيُّ: «الرِّضْوانُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِكَرَامَةِ أَهْلِهِ عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ، وَشِدَّةِ قُرْبِهِمْ؛ فإِنَّ المُحِبَّ لا تَطِيبُ لَهُ الدَّارُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيةِ مَحْبُوبِهِ؛ ولِكَوْنِ الرِّضُوانِ هُوَ المَدَارُ لِكُلِّ خَيْرٍ وَسَعَادَةٍ، والمَنَاطَ لِكُلِّ شَرَفٍ وَسِيادَةٍ؛ كانَ أكبرَ من هاتِيك الجَنَّاتِ والمساكنِ»[2]. وَقَالَ عَلِيٌّ القَارِي: «وَلَعَلَّ الرِّضْوَانَ أَكْبَرُ لِاشْتِمَالِهِ عَلَىٰ تَحْصِيلِ اللِّقَاءِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ النَّعْمَاءِ»[3].

ولَمَّا كَانَ هَذَا شَأْنَ الرِّضَا أَحَبَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ عِبَادِهِ، وانْتَدَبَهُمْ إِلَيْهِ؛ فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: «كَانَ فِيمَا أَوْحَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ دَاوُدَ

---

(1) التوبة: 72.

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي، سورة التوبة: 5/ 332.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 9/ 3585.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا دَاوُدُ إِنَّكَ لَنْ تَلْقَانِي بِعَمَلٍ هُوَ أَرْضَىٰ لِي عَنْكَ، وَلَا أَحَطُّ لِوِزْرِكَ مِنَ الرِّضَا بِقَضَائِي»[1].

وعن عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: «الرِّضَا بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحُ الْعَابِدِينَ»[2].

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرَاثِيِّ، قالَ: «لَنْ يَرِدَ الْآخِرَةَ أَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنَ الرَّاضِينَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ»[3].

وقالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ فِي مَنْزِلَةِ الرِّضَا: «نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَأَخبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ رِضَاهُ عَنْهُمْ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنَ الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا، فَمَنْ رَضِيَ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الرِّضَا بَابَ اللهِ الْأَعْظَمَ، وَجَنَّةَ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحَ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةَ الْمُحِبِّينَ، وَنَعِيمَ الْعَابِدِينَ، وَقُرَّةَ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ»[4].

---

(1) الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: 1/ 49.

(2) الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: 1/ 51.

(3) الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: 1/ 59.

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 172.

مِنْ أَخْبَارِ الرَّاضِينَ

وَلَقْد جَاءَ مِنْ أَخْبارِ الرَّاضِينَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيمَا يُصيبُهُمْ مِنْ أَمْرَاضٍ وابْتِلَاءَاتٍ مَا يُدْهِشُ، مِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّهُ «لَمَّا قَدِمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَكَّةَ -وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ- جَعَلَ النَّاسُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ؛ لِيَدْعُوَ لَهُمْ، فَجَعَلَ يَدْعُو لَهُمْ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّائِبِ: فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا غُلَامٌ، فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِ؛ فَعَرَفَنِي. فَقُلْتُ: يَا عَمُّ، أَنْتَ تَدْعُو لِلنَّاسِ فَيُشْفَوْنَ، فَلَوْ دَعَوْتَ لِنَفْسِكَ؛ لَرَدَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، قَضَاءُ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصَرِي»[1].

وعَنْ سَيَّارِ بْنِ سَلَامَةَ، قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2]. يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ

---

(1) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد، لأبي طالب الْمَكِّيّ: 2/ 71، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 217.

(2) الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: 1/ 70.

أَحَبَّ الأمُورِ إِلَىٰ أَبِي الْعَالِيَةِ، الأُمُورُ التِي يُحِبُّها اللهُ ﷻ، ولَوْ كَانَتْ مَرَضَهُ ومَوْتَهُ، فَهُوَ يُؤْثِرُ مَحَابَّ اللهِ تَعالَىٰ وَيُقَدِّمُهَا عَلَىٰ مَحَابِّ نَفْسِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَىٰ.

وَعَنْ مَخْلَدِ بْنِ حُسَيْنٍ، قَالَ: «كَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ يُقَالُ: لَهُ شَدَّادٌ أَصَابَهُ الْجُذَامُ[1]؛ فَتَقَطَّعَ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُوَّادُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ، فَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: بِخَيْرٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ مَا فَاتَنِي جُزْئِي بِاللَّيْلِ مُنْذُ سَقَطْتُ، وَمَا بِي[2] إِلَّا أَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ أَحْضُرَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ»[3].

---

(1) الجُذَامُ: دَاءٌ تَتَهَافَتُ مِنْهُ الأَطْرَافُ وَتَتَقَطَّعُ، وَيَتَنَاثَرُ مِنْهُ اللَّحْمُ، مِنْ شِدَّةِ التَّقَيُّحِ؛ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، والجَذمُ: سُرْعَةُ القَطْعِ، انظر: معجم العين، للخليل: 6/ 96، والمطلع علىٰ ألفاظ المقنع، لأبي الفضل البعلي: 1/ 394، ومعجم لغة الفقهاء، لقلعجي: 1/ 161.

(2) وَمَا بِي: يَعْنِي لَا أَتَأَلَّمُ مِنَ المَرَضِ، وَإِنَّمَا الذِي يُؤْلِمُنِي فَوَاتُ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ فِي بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ.

(3) الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: 1/ 71.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَىٰ، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَمْتَحِنَنَّ أَهْلَ الْبَلَاءِ[1]، فَقَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَىٰ رَجُلٍ بِطَرْطُوسَ[2]، وَقَدْ أَكَلَتِ الْأَكَلَةُ[3] أَطْرَافَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ وَاللهِ، وَكُلُّ عِرْقٍ، وَكُلُّ عُضْوٍ يَأْلَمُ عَلَىٰ حِدَتِهِ مِنَ الْوَجَعِ، لَوْ أَنَّ الرُّومَ فِي كُفْرِهَا وَشَرْكِهَا اطَّلَعَتْ عَلَيَّ؛ لَرَحِمَتْنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَإِنَّ ذَلِكَ لَبِعَيْنِ اللهِ ﷻ، أَحَبُّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَا قَدْرُ مَا أَخَذَ رَبِّي مِنِّي؟! وَدِدْتُ أَنَّ رَبِّي قَطَعَ مِنِّي الْأَعْضَاءَ الَّتِي اكْتَسَبْتُ بِهَا الْإِثْمَ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنِّي إِلَّا لِسَانِي؛ يَكُونُ لَهُ ذَاكِرًا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَتَىٰ بَدَأَتْ بِكَ هَذِهِ الْعِلَّةُ؟ قَالَ: أَمَا كَفَاكَ؟! الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَبِيدُ اللهِ

---

(1) لَأَمْتَحِنَنَّ أَهلَ الْبَلَاءِ: يَعْنِي لَأَنْظُرَنَّ كَيفَ حَالُهُمْ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَيْفَ رِضَاهُمْ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وتعالىٰ فِي مَرَضِهِمْ.

(2) طَرَسُوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، انظر: معجم البلدان، للحموي: 4/ 38.

(3) الْأَكَلَةُ: داءٌ فِي العُضْوِ، يَأْتَكِلُ مِنْه مِنَ الحِكَّةُ، وَهُوَ كالجُذَامِ، انظر: تاج العروس، للزبيدي: 28/ 12، والاستذكار، للقرطبي: 5/ 421.

وَعِيَالُهُ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِالْعِبَادِ عِلَّةٌ؛ فَالشَّكْوَىٰ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، لَيْسَ يُشْتَكَىٰ اللهُ ﷻ إِلَىٰ الْعِبَادِ»[1].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدٍ الْعَطَّارِ، قَالَ: «مَرَرْتُ بِعَبَّادَانَ[2]، بِمَكْفُوفٍ مَجْذُومٍ[3]، وَإِذَا الزُّنْبُورُ[4] يَقَعُ عَلَيْهِ، فَيُقَطِّعَ لَحْمَهُ، فَقُلْتُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاهُ بِهِ، وَفَتَحَ مِنْ عَيْنِي مَا أَغْلَقَ مِنْ عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أُرَدِّدُ الْحَمْدَ إِذْ صُرِعَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَخَبَّطُ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُقْعَدٌ، فَقُلْتُ: مَكْفُوفٌ مُقْعَدٌ مَجْذُومٌ يُصْرَعُ! فَمَا اسْتَتْمَمْتُ حَتَّىٰ صَاحَ: يَا مُتَكَلِّفُ، مَا دُخُولِكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي؟ دَعْهُ يَعْمَلُ بِي مَا يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِكَ

---

(1) الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: 1/ 88.

(2) مَنْطِقَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْبَصْرَةِ مِنْ أَرْضِ العِرَاقِ، انظر: معجم البلدان، للحموي: 4/ 74.

(3) مَجْذُومٌ: بِهِ دَاءُ الجُذَامِ، والجُذَامُ: دَاءٌ تَتَهَافَتُ مِنْهُ الأَطْرَافُ وَتَتَقَطَّعُ، وَيَتَنَاثَرُ مِنْهُ اللَّحْمُ، مِنْ شِدَّةِ التَّقَيُّحِ؛ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، والجَذمُ: سُرْعَةُ القَطْعِ، انظر: معجم العين، للخليل: 6/ 96، والمطلع علىٰ ألفاظ المقنع، لأبي الفضل البعلي: 1/ 394، ومعجم لغة الفقهاء، لقلعجي: 1/ 161.

(4) الزُّنْبُورُ: الدَّبُّورُ، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 1/ 721.

وَجَلَالِكِ لَوْ قَطَّعْتَنِي إِرَبًا إِرَبًا، أَوْ صَبَبْتَ الْعَذَابَ عَلَيَّ صَبًّا؛ مَا ازْدَدْتُ لَكَ إِلَّا حُبًّا»[1].

(1) الزهد والرقائق، للخطيب البغدادي: 1/ 108.

مُبْتَلًى بالسَّرَطَانِ يَرْضَى عَنِ اللهِ تَعَالَى

وإنَّ مِمَّا شَهِدْتُ مِنْ أَحْوالِ المَرْضَىٰ الرَّاضِينَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنِّي عُدْتُ أَحَدَ إِخْوانِنَا المَرْضَىٰ، كَانَ فِي مَطْلَعِ الثَّلَاثِينِيَّاتِ مِنْ عُمُرِهِ، وَقَدْ أَصابَهُ دَاءُ السَّرَطَانِ الذِي يُقَالُ لَهُ: الخَبِيثُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَىٰ أَشَدِّ حَالٍ رَأَيْتُ عَلَيْها إِنْسانًا قَطُّ، رَأَيْتُ الدَّاءَ قَدْ بَدَأَ فِي حَاجِبِهِ؛ فَأَتَي عَلَىٰ عَيْنِهِ؛ فَكَادَ يُغْلِقُهَا، ثُمَّ زَحفَ إِلَىٰ أُذُنِهِ؛ فَأَسَالَهَا وذَهَبَ بِهَا، ثُمَّ زَحفَ إِلَىٰ فَمِهِ؛ فَلاثَهُ؛ فَلا يَكادُ يُفْهَمُ لَهُ كَلَامٌ، وَقَدْ أَتَىٰ الدَّاءُ عَلَىٰ لَحْمِهِ وَوَدَكِهِ[1]؛ ولَكَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَىٰ أَعْوَادٍ مَنْصُوبَةٍ رُكِّبَتْ عَلَىٰ هَيْئَةِ إِنْسَانٍ، وَقَدْ كَانَ بِهِ مِنَ الوَجَعِ مَا يَرْحَمُهُ كُلُّ مَنْ يَرَاهُ. تَغَيَّرَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ؛ فَلَا يَكادُ يَعْرِفُهُ مَنْ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ إِلَّا بِشُقْرَةِ بَشْرَتِهِ الشَّدِيدَةِ المُمَيِّزَةِ. لَا يَنَامُ إِلَّا إِذَا تَعَاطَىٰ المُسَكِّنَاتِ القَوِيَّةَ الغَالِيَةَ، التِي أَرْهَقَهُ ثَمَنُ فَاتُورَتِهَا المُتَكَرِّرِ. أَخَذَتْنِي الشَّفَقَةُ عَلَيْهِ، وخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ المَرَضُ قَدْ نَالَ

---

(1) الوَدَكُ: دَسَمُ اللَّحْمِ ودِهْنُهُ وسُمْنُهُ الذِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ، ورجُلٌ وادِكٌ: سَمِينٌ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 5/ 169، القاموس المحيط، للفيروزآبادي: 1/ 956.

مِنْ دِينِهِ ورِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَقَلْتُ لَهُ: كَيْفَ رِضَاكَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ بِلِسانٍ مُلْتَاثٍ[1]: أَنَا أَرْضَىٰ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟! يَا رِيت[2] يَرْضَىٰ عَنِّي نِتْفَة[3] –وَأَشَارَ بِإِبْهَامِهِ إِلَىٰ طَرَفِ سَبَّابَتِهِ يُقَلِّلُهَا– وَيُقَطِّعُنِي قِطْعَةً قِطْعَةً. كَانَ هذا بين العِشَائَيْنِ[4] مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ. أَدْهَشَنِي وأَسْعَدَنِي مَا سَمِعْتُ مِنْ رِضَاهُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَجَدْتُنِي أَمَامَ جَبَلٍ لَا تَأْخُذُ فِيهِ المَعَاوِلُ، ولا تَنَالُ مِنْهُ المِحَنُ والابْتِلَاءَاتُ. قَرَّرْت أَنْ أَعُودَ لِعِيَادَتِهِ مَرَّةً أُخْرَىٰ لَعَلِّي أَتَعَلَّمُ مِنْهُ دَرْسًا آخَرَ تَكُونُ بِهِ حَيَاةُ قَلْبِي. دَخَلْنَا عَلَيْهِ يَوْمَ الجُمُعَةِ التِي تَلِيهَا فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ وَهُوَ مُسَجًّىٰ عَلَىٰ سَرِيرِ المَشْفَىٰ؛ فَوَجَدْنَاهُ فِي غَيْبُوبَةِ المَوْتِ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، جَلَسْنَا عِنْدَ رَأْسِهِ؛ نَرْجُو يَقَظَتَهُ، والعُوَّادُ وُقُوفٌ حَوَالَيْنَا فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، وَلَمْ نَلْبَثْ دَقَائِقَ حَتَّىٰ لَفَظَ نَفْسَهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ. ذَهَبَتْ بِي

---

(1) بِلِسانٍ مُلْتَاثٍ: اللُّوثَةُ: الاسْتِرْخَاءُ والبُطْءُ، المعنىٰ: بِلِسانٍ ثَقِيلٍ، يَثْقُلُ عَلَيْهِ الكَلَامُ، وَلَا يَكَادُ يُفْهَمُ مِنْهُ؛ لِشِدَّةِ تَأْثِيرِ المَرَضِ عَلَىٰ فِيهِ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 2/ 185.

(2) يَا رِيت: كَلِمَةٌ يُرَادُ بِهَا التَّمَنِّي؛ بِلِسَانِ أَهْلِ غَزَّةَ.

(3) نِتْفَة: شيئًا قَلِيلًا؛ بِلِسَانِ أَهْلِ غَزَّةَ.

(4) العِشَاءانِ: المغرب والعشاء، انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري: 8/ 263.

ذَاكِرَتِي إِلَىٰ عُفَيْرَةَ العَابِدَةِ، ومَا رُوِيَ عَنْ يَحْيَىٰ بن بُسْطامٍ أَنَّهُ قَالَ: «دَخَلْتُ مع نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنا عَلَىٰ عُفَيْرَةَ، وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَّدَتْ، وبَكتْ حتَّىٰ عَمِيَتْ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَىٰ جَنْبِهِ: مَا أَشدَّ العَمَىٰ عَلَىٰ مَنْ كَانَ بَصِيرًا! فَسَمِعَتْهُ عُفَيْرَةُ؛ فَقَالتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، عَمَىٰ القَلْبِ –واللهِ– عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ أشدُّ مِنْ عَمَىٰ العَيْنِ عَنِ الدُّنْيا، واللهِ وَدِدْتُ أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَهَبَ لِي كُنْهَ[1] محبَّتِهِ، وأَنَّهُ لَمْ تَبْقَ مِنِّي جارِحةٌ[2] إلا أَخَذَها»[3].

---

(1) الكُنه: جوهرُ الشَّيء وحقيقته ونهايته وغايته، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 6/ 18، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 4/ 206، ولسان العرب، لابن منظور: 13/ 537.

(2) جارِحةٌ: جمعها: جَوارِحُ، والجَوارِحُ: أَعْضاءُ الإِنسانِ العَامِلَةُ الَّتِي تَكْتَسِبُ: من يَدَيْهِ ورِجْليه، وأُذُنَيْهِ، وَعَيْنَيْهِ، وفَرْجِهِ...؛ لأَنهنّ يَجْرَحن الخيرَ والشّرَّ، أَي: يَكْسِبْنَه. قلت: وَهُوَ مأَخوذٌ من جَرَحَتْ يَداه واجْتَرَحَت، انظر: تاج العروس، للزبيدي: 6/ 338.

(3) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 247.

فَتًى عِشْرِينِيٌّ يَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى عَلَى قَسْوَةِ البَلاءِ

ومِمَّا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ فِي هَذَا البَابِ، أَنِّي فِيمَا كُنْتُ أُيَمِّمُ[1] قِبَلَ[2] المَسْجِدِ قُبَيْلَ عَصْرِ يَوْمِ الجُمُعَةِ، أَخَذَنِي مَرْأَىٰ فَتًىٰ فِي العِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ، يَقِلُّ قَلِيلًا أَوْ يَزِيدُ، يَبْدُو غَرِيبًا عَنْ مُخَيَّمِنَا، لَمْ أَرَهُ مِنْ قَبْلُ، بِهِ إِعَاقَةٌ أَخَذَتْ نِصْفَهُ الأَيْمَنَ؛ فَلَا يَخْطُو خُطْوَةً إِلَّا وَيَنْتَفِضُ بَدَنُهُ كُلُّهُ، يَجْرِي وراءَهُ الصِّبْيانُ؛ وَيَرْجُمُونَهُ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهِ؛ يَظُنُّونَهُ أَهْبَلَ[3]؛ آلَمَهُ وأَحْزَنَهُ مَا لَقِيَ مِنَ الصِّبْيَانِ. قَالَ لَهُمْ: مَا أَزْنَخَكُمْ[4]! لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا. قَرَّرْتُ أَنْ أَنْصُرَهُ؛ طَرَدْتُ الصِّبْيانَ، وَسِرْتُ مَعَهُ بَقِيَّةَ الطَّرِيقِ. قَطَعْنَا مَسَافَةً أَتَأَمَّلُهُ، وَأَنَا غَارِقٌ

---

(1) أُيَمِّمُ: أقصد وأتوجه، انظر: جمهرة اللغة، لابن دُرَيْدٍ: 1/ 248.

(2) قِبَلَ: جِهَةَ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 9/ 139.

(3) الأَهْبَلُ: مَنْ فَقَدَ عَقْلَهُ وَتَمْيِيزَهُ، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 3/ 2320.

(4) الزَّنَخُ: تَغَيُّرُ الدُّهْنِ والسَّمْنِ وفَسَادُهُ، وَتَغَيُّرُ رَائِحَتِهِ، وهِيَ هُنَا كَلِمَةٌ تَسْتَعْمِلُهَا العَامَّةُ، يُرَادُ بِهَا التَّوْبِيخُ، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي: 1/ 424.

فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ، لَمْ أُكَلِّمْهُ، وَلَمْ يُكَلِّمْنِي، لَا يَمُرُّ عَلَىٰ أَحَدٍ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ إِلَّا رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، والنَّاسُ لَا يُجِيبُونَهُ، أَحْبَبْتُ أَنْ يَرَانِيَ اللهُ تَعَالَىٰ أُمَاشِي المَسَاكِينَ، فَوَاصَلْتُ المَسِيرَ مَعَهُ، جَنْبِي إِلَىٰ جَنْبِهِ. قَطَعْتُ الصَّمْتَ، وَأَخْرَجْتُ حُلْوَةً مِنْ جَيْبِي كَانَتْ مَعِي، وَقَدَّمْتُها إِلَيْهِ؛ فَاعْتَذَرَ، وتَمَنَّعَ -ظَنَّهَا صَدَقَةً، وَأَنَّنِي حَسِبْتُهُ مُتَسَوِّلًا- قُلْتُ: إِنَّهَا هَدِيَّةٌ؛ فَقَبِلَهَا، ثُمَّ قَالَ بَعْدَمَا أَلِفَنِي بِلِسَانٍ ثَقِيلٍ: لِمَاذَا هَكَذَا النَّاسُ؟ قُلْتُ: سَامِحْهُمْ، لَا تَسْخَطْ عَلَيْهِمْ. أَلَا تُحِبُّ لَهُمُ الخَيْرَ؟ قَالَ أُحِبُّ لَهُمْ جَمِيعًا أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنْ يَغْفِرَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ، ثُمَّ أَرْدَفَ قَائِلًا: تَعْلَمُ مَا هَذَا الذِي بِي، وَيُؤْذِينِي النَّاسُ لِأَجْلِهِ؟! كُنْتُ سَلِيمًا مَعَافًى كَكُلِّ الأَطْفَالِ، أَلْعَبُ كَمَا يَلْعَبُونَ، وَأَمْرَحُ كَمَا يَمْرَحُونَ. صَدَمَتْنِي سَيَّارَةٌ يَوْمًا؛ فَتَرَكَتْنِي عَلَىٰ الحَالِ التِي تَرَىٰ، وَأَنَا لَا أَقُولُ: لِمَاذَا يَا رَبُّ فَعَلْتَ بِي هَذَا؟ لَا، إِنَّمَا أَقُولُ: الحَمْدُ للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذَا. دَفَعَنِي الفُضُولُ؛ فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ؟ وَإِلَىٰ أَيْنَ؟ قَالَ: أَنَا مِنْ غَزَّةَ، مُتَوَجِّهٌ إِلَىٰ أُمِّي فِي المُخَيَّمِ[1]. أُمِّي مُطَلَّقَةٌ وَمُتَزَوِّجَةٌ، وَأَنَا أَزُورُهَا بَيْنَ الحِينِ

---

(1) هو مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين، الذين هَجَّرَهُمُ الاحتلال الصهيوني، وينتظرن العودة إلىٰ فلسطين المحتلة؛ أعادها الله تعالىٰ عزيزة كريمة، يقع إلىٰ الجنوب من فلسطين المحتلة، الثغر الشمالي لمدينة غزة الصابرة.

والحِينِ، أَتَفَقَّدُهَا، وَأَبَرُّهَا. أَخَذَتْنِي عُذُوبَةُ حَدِيثِهِ البَسِيطِ الكَبِيرِ، أَدْهَشَنِي رِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ ﷻ، وَحَمْدُهُ لَهُ عَلَىٰ مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ حَالٍ، أَسْعَدَنِي بِرُّهُ أُمَّهُ؛ فَهُو يَقْطَعُ مَسَافَةَ أَرْبَعَةِ آلَافِ مِتْرٍ تقريبًا، مُعْتَمِدًا عَلَىٰ شِقٍّ وَاحِدٍ، يَتَعَرَّضُ لِأَذَىٰ الصِّبْيَانِ لِأَجْلِ أُمِّهِ. وَصَلْنَا المَسْجِدَ؛ كَانَ لابُدَّ أَنْ أُفَارِقَهُ؛ فَوَدَّعْتُهُ، وَمِلْتُ إِلَىٰ المَسْجِدِ، وَأَنَا مُسْتَغْرِقٌ فِيمَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ مِنْ عُذُوبَةِ الكَلَامِ، وَصِدْقِ الحَالِ... لَمْ يَزَلْ فِكْرِي يَدُورُ فِي شَأْنِ الفَتَىٰ كَمَا تَدُورُ الرَّحَىٰ[1]، حَدَّثْتُ إِخْوانِي فِي مَجْلِسٍ يَضُمُّنَا كُلَّ جُمُعَةٍ بُعَيْدَ صَلَاةِ العَصْرِ بِخَبَرِ الفَتَىٰ؛ فَأَخَذَهُمْ مِنَ الدَّهَشِ مِثْلَمَا أَخَذَنِي. وَلَكَمْ أَتَمَنَّىٰ أَنْ أَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ؛ فَلَقَدْ نَدِمْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي؛ فَمَا أَقْرَبَ هَذَا وأَمْثَالَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ! وَمَا أَسْرَعَ أَنْ يُجَابَ!!!

(1) الرَّحَىٰ: الطاحون، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 4/ 79.

السِّبَاعِيُّ عَلَى سَرِيرِ المَوْتِ يَرْضَى عَنِ اللهِ تَعالَى

وإِنَّ مِنْ أَجْمَلِ وأَرَقِّ مَا قِيلَ فِي الرِّضَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ حالَ المَرَضِ مَا نَظَمَهُ مُصْطَفَىٰ السِّبَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ سَرِيرِ مَرَضِ مَوْتِهِ؛ إِذْ لَمْ يُمْهِلْهُ المَرَضُ، حتَّىٰ هَدَّهُ مُبَكِّرًا فِي مَطْلَعِ الأَرْبَعِينِيَّاتِ مِنْ عُمُرِهِ، وَهُوَ فِي ذُرْوَةِ عَمَلِهِ الدَّعوِيِّ، وبَاكُورَةِ إِنْتَاجِهِ العِلْمِيِّ؛ فَنَظَمَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ كَلِمَاتٍ رَقِيقَةً؛ يُظْهِرُ فِيهَا رِضَاهُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَتَوَسَّلُهُ أَنْ يُحْسِنَ خَاتِمَتَهُ فِي الدُّنْيا؛ فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مُنَاجِيًا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

أَرَاكَ جَـمِيـلًا حِينَ تَـرْضَـىٰ وتَغْـضَـبُ

وَحِـينَ تُـمَـنِّـي بالـوِصَـالِ وَتَــعْـتَـبُ

وَحِـيـنَ تُعافِـينِي مِنَ الهَـمِّ والـضَّـنَىٰ[1]

وحِـيـنَ دِمَـائِي مِـنْ جِـرَاحِـيَ تَثْعُبُ[2]

---

(1) الضَّنَىٰ: الثِّقَلُ والمَشَقَّةُ والعَذَابُ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 12/ 69، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 2/ 1372.

(2) تَثْعُبُ: تنفجر وتجري بالدم، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 1/ 236.

وإِنْ يَكُ جِسْمِي مِلْءَ عِطْفَيْهِ[1] صِحَّةً

وَإِنْ تَكُنِ الأَسْقَامُ تَضْوِي[2] وتُعْطِبُ[3]

وإِنْ غَمَرَتْنِي مِنْكَ حُسْنَىٰ تَسُرُّنِي

وَإِنْ هُدَّ مِنِّي للمَصَائِبِ مَنْكِبُ

وفِي الضُّرِّ والنُّعْمَىٰ وفِي المَنْعِ والعَطَا

وفِي الأَمْنِ والأَحْزَانِ تَأْتِي وَتَذْهَبُ

أَرَاكَ جَمِيلًا فِي فِعَالِكَ كُلِّهَا

فَهَلْ أَنْتَ رَاضٍ أَمْ تُرَىٰ أَنْتَ مُغْضَبُ؟

ولَكِنَّ ظَنِّي فِيكَ أَنَّكَ مُعْتِقِي

وَأَنَّكَ تُدْنِينِي وَلَسْتَ تُعَذِّبُ

فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ صَبْرًا وَرَحْمَةً

وَيَا رَبِّ حَبِّبْنِي بِمَا فِيَّ تَكْتُبُ

---

(1) عِطْفَيْهِ: جَانِبَيْهِ، انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 914.

(2) تَضْوِي: تُهْزِلُ وتُضْعِفُ، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: 6/ 2410.

(3) تُعْطِبُ: تُهْلِكُ، انظر: معجم العين، للخليل: 2/ 20.

وَيَا رَبِّ زِدْنِـــي عَنْـكَ فَــهْمًا لِمِحْنَــتِي
وَثَــبِّتْ يَقِينِــي فِـيـكَ فَالـقَلْبُ قُـلَّبُ[1]
وزِدْنِـــيَ إِحْسَــانًا بِـمَــا أَنْــتَ أَهْــلُــهُ
وَحَـــسِّــنْ فِـعَــالَي أَنْـتَ نِعْـمَ المُؤَدِّبُ
أَنْــزِل عَــلَىٰ قَـلْبِــي الجَــرِيحِ سَكِينَةً
وَأَحْسِنْ خِتَامِي لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبُ[2]

أَلَا فَلْيَكُنْ دُعَاؤُكَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ: (اللهُمَّ إِنِّي رَاضٍ عَنْكَ؛ فَارْضَ عَنِّي)، رَدِّدْهَا كُلَّ صَبَاحٍ، وكلَّ مَسَاءٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، واجْعَلْهَا وِرْدَكَ المَبْرُورَ.

---

(1) قُلَّبُ: يَتَقَلَّبُ، انظر: تاج العروس، للزبيدي: 4/ 75.

(2) هكذا علمتني الحياة، لمصطفىٰ السباعي: 1/ 98.

العَافِيَةُ خَيْرُ سُؤَالٍ

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ تَزْيِينَنَا الصَّبْرَ عَلَىٰ المَرَضِ، والرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ تَعالَىٰ، والحَثَّ عَلَىٰ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنْ يُقَدِّمَهُ العَبْدُ وَيُفَضِّلَهُ عَلَىٰ العَافِيَةِ؛ كَلَّا، لَيْسَ مَا أَرَدْنا، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَنَّ مَنْ وَقَعَ بِهِ قَضَاءُ اللهِ تَعالَىٰ بالمَرَضِ أَنْ يَتَجَمَّلَ لَهُ إِمَّا بِحَالِ الصَّبْرِ عَلَىٰ المَرَضِ؛ لِينَالَ دَرَجَةَ الصَّابِرِينَ، وَإِمَّا بِحَالِ الرِّضَا، وَهِيَ أَرْفَعُ مِنَ الصَّبْرِ؛ لِينَالَ مَرْتَبَةَ الرَّاضِينَ، أَمَّا مَنْ لَمْ يُبْتَلَ بالمَرَضِ؛ فَلا يَتَمَنَّهُ، وَلَا يَطْلُبْهُ؛ فَإِنَّهُ مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيْرًا مِنْ عَافِيَةٍ فِي بَدَنِه، وَقُوَّةٍ فِي جَسَدِهِ، يُؤَدِّي فِيهَا حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ القِيامِ بِوَظَائِفِ العُبُودِيَّةِ الخَالِصَةِ عَلَىٰ شَتَّىٰ صُوَرِهَا، فالعَافِيَةُ خَيْرُ مَا يَسْأَلُ العَبْدُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ وإِخْلاصِ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ؛ فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم...، ثُمَّ قَالَ: «**سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرٌ مِنَ الْمُعَافَاةِ**»[1]. وفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «**لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا**

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 381، رقم: (724)، وصحَّحه الألباني.

بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ؛ فَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ»[1]. وَهِيَ وَصِيَّتُهُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَىٰ النبيَّ ﷺ رَجلٌ فَقال: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الدُّعاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«سَلِ اللهَ العَفوَ والعَافِيَةَ فِي الدُّنيا والآخِرةِ، ثُم أَتاهُ الغَدَ، فَقالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَلِ اللهَ العَفوَ والعَافيةَ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ؛ فَقَدْ أَفلَحْتَ»**[2].

وَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَوْدِعَ العَبْدُ رَبَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ العَافِيَةَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ لِنَوْمِهِ، وَأَنْ يَهَبَهُ إِيَّاهَا، وَيَرُدَّهَا عَلَيْهِ عِنْدَ يَقَظَتِهِ وبَعْثِهِ مِنْ نَوْمِهِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: **«اللهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»**[3].

فالعافِيَةُ جَنَّةٌ حَاضِرَةٌ، وَهِيَ مِنْ خَيرِ مَتَاعِ الدُّنْيا؛ فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي**

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 3/ 230، رقم: (950)، وصحَّحه الألباني.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 331، رقم: (637)، وصحَّحه الألباني.

(3) أخرجه مسلم: 4/ 2083، رقم: (2712).

سِرْبِهِ[1]**، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»**[2].

فَلَا يَنْبَغِي للعَبْدِ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ المَرَضَ؛ لِنَيْلِ أَجْرِ الصَّابِرِينَ؛ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّفَ مِنَ البَلَاءِ مَا لَمْ يَحْصُلْ؛ فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ، قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَتَعَرَّضُ مِنَ البَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ**»[3]؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي، لَعَلَّهُ لَا يُطِيقُ المَرَضَ، وأَنْ يُخْرِجَهُ شِدَّةُ المَرَضِ عَنْ حَدِّ الصَّبْرِ إِلَىٰ التَّسَخُّطِ بالمَقْدُورِ، أَوْ أَنْ يَنْقُلَهُ مِنْ حَالِ الاجْتِهادِ فِي العِبادَةِ إِلَىٰ حَالٍ أَقَلَّ مِنْهَا؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خفَتَ، فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ[4]،

---

(1) فِي سِرْبِهِ، أَيْ: فِي نَفْسِهِ، وَقِيلَ: السِّرْبُ الْجَمَاعَةُ، فَالْمَعْنَىٰ فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَقِيلَ بِفَتْحِ السِّينِ، أَيْ: فِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ، وَقِيلَ بِفَتْحَتَيْنِ (سَرَبِهِ)، أَيْ: فِي بَيْتِهِ، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 8/ 3250.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 112، رقم: (300)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 5/ 249، وحسَّنه الألباني.

(3) أخرجه الترمذي في سننه: 4/ 325، رقم: (2254)، وصحَّحه الألباني.

(4) الْفَرْخُ: وَلَدُ الطَّيْرِ، أَيْ: مِثْلُهُ فِي كَثْرَةِ النَّحَافَةِ، وَقِلَّةِ الْقُوَّةِ، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 5/ 1738.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ، لَا تُطِيقُهُ -أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ- أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ[1].

وإِنَّ مِمَّا شَهِدْتُّ مِنْ أَحْوَالِ المَرْضَىٰ فِي هَذَا البَابِ، أَنِّي دَخَلْتُ المَسْجِدَ لِصَلاةِ الفَجْرِ، فَوَجَدْتُ مَرِيضًا مِنَ العَامَّةِ مُلْقًىٰ عَلَىٰ جَنْبِهِ، وَلَيْسَ فِي بَدَنِهِ عُضْوٌ إِلَّا وَقَدْ أَصَابَ مِنْهُ المَرَضُ نَصِيبًا، يَئِنُّ مِنْ شِدَّةِ المَرَضِ أَنِينًا يُقَطِّعُ نِيَاطَ القَلْبِ[2]؛ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الفَقْرِ والحَاجَةِ... صَلَّيْتُ تَحِيَّةَ المَسْجِدِ؛ فَشَدَّنِي كَلِمَاتٌ سَمِعْتُهُ يَقُولُهَا، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ مَزِيدٌ؛ فَزِدْ... يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْضِي رَبَّهُ ﷻ بِهَذَا الكَلَامِ؛ فَمَا إِنِ انْفَتَلْتُ مِنْ صَلَاتِي؛ حتَّىٰ أَتَيْتُهُ، وَقُلْتُ: مَا هَذا الكَلَامُ الذِي سَمِعْتُكَ تَقُولُهُ، الأَوْلَىٰ بِكَ

(1) أخرجه مسلم: 1/ 2068، رقم: (2688).

(2) نِياطُ القَلْبِ: النِّياطُ مُفْرَدٌ، والجمعُ: أَنْوِطَةٌ ونُوطٌ، وَهُوَ عِرْقٌ غَلِيظٌ نِيطَ وتَعَلَّقَ بِهِ القَلْبُ، وبه حَيَاتُهُ، فإذا انقطَعَ؛ مَاتَ، والمُرَادُ هُنَا إِظْهَارُ شِدَّةِ الحُزْنِ والألَمِ، انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: 9/ 240.

يَا رَجُلُ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الحَالِ أَنْ تَسْأَلَ اللهَ تَعالَىٰ العَافِيَةَ، أَوْ أَنْ يُلْهِمَكَ الصَّبْرَ عَلَىٰ مَا أَنْتَ فِيهِ...؛ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَضاعَفَ عَلَيْهِ المَرَضُ، وَفَتَكَ بِبَدَنِهِ كُلِّه؛ حتَّىٰ قَتَلَهُ..

ولَقَدْ حَدَثَنِي أَخٌ لِي أَنَّ لَهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، بِهَا مَرَضٌ طَالَ أَمَدُهُ، لَمْ تَتْرُكْ بَابًا مِنْ أبْوابِ التَّداوِي إِلَّا سَلَكَتْهُ، ولَمْ يَجِدِ الشِّفَاءُ إِلَىٰ بَدَنِهَا سَبِيلًا، وإِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُ يَوْمًا عَنْ أَفْضَلِيَّةِ سُؤَالِ العَافِيَةِ، وأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي للعَبْدِ أَنْ يَسْأَلَ البَلَاءَ؛ فَلَعَلَّهُ يَتكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ؛ فَشَدَّهُ كَلَامِي، وأَخْبَرَنِي أنَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ تَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ المَرَضَ، حتَّىٰ تُصِيبَ بَرَكَتَهُ، وَهِيَ الآنَ لَا تَكَادُ تَبْرَأُ مِنْهُ؛ حتَّىٰ يُعَاوِدَهَا، وَلَا تَكَادُ تُطِيقُ شِدَّتَهُ.

وَهَذَا الذِي ذَكَرْنَا مِنْ تَرْكِ تَمَنِّي البَلَاءِ، وسُؤَالِ العَافِيَةِ هُوَ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَلَا وَإِنَّ خَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

جَمْعٌ وتَوْجِيهٌ

لَعَلَّهُ أَنْ يَأْخُذَ القَارِئَ شَيْءٌ مِنَ الحَيْرَةِ حِينَ الوُقُوفِ عَلَىٰ الآثَارِ التِي ظَاهِرُهَا التَّعَارُضُ مِمَّا ذُكِرَ مِنْ طَلَبِ العَافِيَةِ، وكَرَاهَةِ تَمَنِّي الابْتِلَاءِ، وَبَيْنَ مَا سَبَقَ مِنْ تَمَنِّيهِ مِنْ بَعْضِ السَّلَفِ، وَتَرْكِ سُؤَالِ العَافِيَةِ مِنْهُ مِنْ بَعْضِهِمْ؛ وَيُمْكِنُ الجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ وَتِلْكَ: أَنَّه أَمَّا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ المَرْأَةِ التِي كَانَتْ تُصَابُ بالصَّرَعِ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ المَرَضَ قَدْ وَقَعَ بِهَا؛ فَأَحَبَّ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُصِيبَ ثَوابَهُ؛ لِعِلْمِهِ بِقُوَّتِهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا علَىٰ الصَّبْرِ.

وأَمَّا مَا كانَ مِنْ أَمْرِ سَعْدٍ رضي الله عنه وتَرْكِهِ الدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ بِأَنْ يَرُدَّ اللهُ تَعالَىٰ إِلَيْه بَصَرَهُ؛ فَإِنَّهُ رضي الله عنه آثَرَ حَالَ الرِّضَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَرَجَا أَنْ يُصِيبَ أَجْرَ مَنْ صَبَرَ عَلَىٰ فَقْدِ حَبِيبَتَيْهِ، -أَيْ: عَيْنَيهِ-، وَقَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ القُوَّةَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ بَلْ مَحَبَّتَهُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكانَ ذَلِكَ بَعْدَ حُلُولِ المَرَضِ، فَلَمْ يَتَمَنَّهُ رضي الله عنه قَبْلَ وُقُوعِهِ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ دُعَاءِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه عَلَىٰ نَفْسِهِ أَلَّا يُفَارِقَهُ المَرَضُ حَتَّىٰ يَمُوتَ؛ فَإِنَّهُ سَأَلَ سُؤَالَ لَبِيبٍ؛ سَأَلَ المَرَضَ الذِي تُكَفَّرُ بِهِ

الذُّنُوبُ، وَسَأَلَ مَعَهُ العَافِيَةَ حالَ العِبَادَةِ مِنْ شِدَّتِهِ؛ «فَلَا يَشْغَلُهُ المرض عَنْ حَجٍّ، وَلَا عُمْرَةٍ، وَلَا جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ»، وَقَدْ كَانَ لَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَمَنْ يَضْمَنُ مِنْ آحَادِ المُسْلِمِينَ أَلَّا يُخْرِجَهُ المَرَضُ عَنْ حَدِّ الصَّبْرِ، وأَلَّا يُقْعِدَهُ عَنِ العِبَادَةِ؟

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ مُعَاذٍ رضي الله عنه أَنْ يَقْسِمَ لِآلِ مُعَاذٍ حَظَّهُمْ مِنَ الطَّاعُونِ، وأَنْ يُبَارِكَ لَهُمْ فِيهِ؛ فَقَدْ صَحَّ أَنَّ الطَّاعُونَ رَحْمَةٌ للأُمَّةِ، وأَنَّ قَتِيلَهُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**»[1].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 7/ 131، رقم: (5734).

قُوَّةُ الفَرْدِ والأُمَّةِ مَقْصِدٌ مِنْ مَقَاصِدِ الدِّينِ

وَإِنَّ قُوَّةَ الفَرْدِ المُسْلِمِ والأُمَّةِ المُسْلِمَةِ مَقْصِدٌ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، فَالأُمَّةُ القَوِيَّةُ مَرْهُوبَةٌ مَخُوفَةُ الجَانِبِ، وإِنَّ أَعْدَاءَ الأُمَّةِ يُحَارِبُونَهَا فِي قُوَّةِ أَبْدَانِ أَبْنَائِهَا، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَنْشُرُونَ فِيها الأَمْرَاضَ والأَوْبِئَةَ، وَيُرَوِّجُونَ الأَقْرَاصَ والمَوادَّ المُخَدِّرَةَ المُغَيِّبَةَ للعَقْلِ، المُتْلِفَةَ للبَدَنِ؛ حتَّىٰ تُضعِفَهَا، وَيَسْهُلَ لَهُمُ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا، وَهَذَا مُشَاهَدٌ مَعْلُومٌ؛ وَإِظْهَارُ قُوَّةِ بَأْسِ المُسْلِمِينَ يُخِيفُهُمْ وَيُرْهِبُهُمْ؛ لِذَلِكَ لمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وأَصْحَابُهُ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَضْطَبِعُوا عِنْدَ الطَّوافِ، وأَنْ يَرْمُلُوا؛ والاضْطِبَاعُ: «كَشْفُ المَنْكِبِ الأَيْمَنِ، وَجَمْعُ الرِّدَاءِ عَلَىٰ الأَيْسَرِ»[1]، والرَّمَلُ: «هُوَ أَسْرَعُ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الخُطَا، وَهُوَ الْخَبَبُ، والخَبَبُ نَوْعٌ مِنَ العَدْوِ، وَهُوَ أَوَّلُ الإِسْرَاعِ»[2]؛ كُلُّ ذَلِكَ إِظْهَارًا لِقُوَّتِهِمْ؛ لِيَرْهَبَهُمُ

---

(1) انظر: حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه، للسندي: 2/ 224.

(2) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: 8/ 175.

الكُفَّارُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَاعَ فِي الكُفَّارِ أَنَّ حُمَّىٰ يَثْرِب قَدْ أَصَابَتِ المُسْلِمينَ؛ فَأَضْعَفَتْهُمْ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ، وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِب، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الْحُمَّىٰ، وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً، فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي الْحِجْرَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، لِيَرَىٰ الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّىٰ قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا**»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا، إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ»[1]. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «**اضْطَبَعَ فَاسْتَلَمَ وَكَبَّرَ، ثُمَّ رَمَلَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَكَانُوا، إِذَا بَلَغُوا الرُّكْنَ الْيَمَانِيَ وَتَغَيَّبُوا مِنْ قُرَيْشٍ مَشَوْا، ثُمَّ يَطْلُعُونَ عَلَيْهِمْ يَرْمُلُونَ، تَقُولُ قُرَيْشٌ: كَأَنَّهُمُ الْغِزْلَانُ**»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَكَانَتْ سُنَّةً»[2]؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ الأُمَّةَ المُسْلِمَةَ أَنْ تُعِدَّ القُوَّةَ لِإِرْهَابِ الأَعْدَاءِ مِنَ

---

(1) أخرجه مسلم: 2/ 923، رقم: (1266).

(2) أخرجه أبو داود: 2/ 179، رقم: (1889)، وصحَّحه الألباني.

الكُفَّارِ والمُنَافِقِينَ، قالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

ومِنْ هُنَا يُؤْخَذُ أَنَّهُ عَلَىٰ الدَّوْلَةِ المُسْلِمَةِ أَنْ تُحَافِظَ عَلَىٰ قُوَّةِ أَبْنَائِهَا باتِّخَاذِ جَمِيعِ أَسْبَابِ سَلَامَتِهِمْ وَوِقَايَتِهِمْ، وَأَنْ تُدَاوِيَهُمْ أَفْضَلَ الدَّوَاءِ عِنْدَ إِصَابَتِهِمْ، وَلَوْ أَفْرَغَتْ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ خَزَائِنَ الدَّوْلَةِ.

---

(1) الأنفال: 60.

خَيْرُ أَحْوالِ العِبادِ

وإنَّ خَيْرَ أَحْوالِ العَبْدِ المُسْلِمِ قَبْلَ حُلُولِ الابْتِلاءِ بالمَرَضِ وغَيْرِهِ، حالُ العَافِيَةِ، يُرَاعِيها مِنْ بَدَنِهِ ونَفْسِهِ، ويَسْأَلُهَا اللهَ تَعَالَىٰ، ويُحَافِظُ عَلَيْهَا وُسْعَهُ. وخَيْرُ أَحْوالِهِ بَعْدَ حُلُولِ المَرَضِ والابْتِلاءِ الرِّضَا بِمَا قَضَاهُ اللهُ تَعالَىٰ، وَتَرْكُ تَفْضِيلِ سِوَاهُ عَلَيْهِ؛ وَعَلَىٰ هَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ السَّلَفِ عَلَيْهِمْ رِضْوانُ اللهِ تَعالَىٰ؛ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ «اجْتَمَعَ وُهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَيُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ. فَقَالَ الثَّوْرِيُّ: قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ: فَوَدِدْتُ أَنِّي مَيِّتٌ، فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: وَلِمَ؟ فَقَالَ: لِمَا أَتَخَوَّفُ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَقَالَ يُوسُفُ: لَكِنِّي لَا أَكْرَهُ طُولَ الْبَقَاءِ. فَقَالَ الثَّوْرِيُّ: وَلِمَ تَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُصَادِفُ يَوْمًا أَتُوبُ فِيهِ، وَأَعْمَلُ صَالِحًا. فَقِيلَ لِوُهَيْبٍ: أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا لَا أَخْتَارُ شَيْئًا، أَحَبُّ

ذَلِكَ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ. فَقَبَّلَ الثَّوْرِيُّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. وَقَالَ: رَوحَانِيَّةٌ[1] وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»[2].

---

(1) قوله: (رُوحَانِيَّةٌ): يَعْنِي مَقَامَ الرَّوْحَانِيِّينَ، وَهُمُ المَقَرَّبونَ، أَهْلُ الرَّوْحِ والرَّيْحانِ، وَأُولُو المَحَبَّةِ والرضْوانِ، كَمَا قالَ تعالي: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ [الواقعة: 89]، يَعْنِي لَهُمْ رِيحٌ مِنْ نَسيمِ القُرْبِ ورَيْحانٌ مِنْ طِيبِ الحُبِّ، انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد، لأبي طالب المكي: 2/ 73.

(2) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد، لأبي طالب المكي: 2/ 73، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 207.

التَّدَاوِي لا يُنَافِي الصَّبْرَ والرِّضَا

وَلَا يُنَافِي طَلَبُ التَّدَاوِي حَالَ الصَّبْرِ والرِّضَا؛ فَإِنَّ الذِي قَدَّرَ المَرَضَ، شَرَعَ العِلَاجَ، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ؛ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ** عز وجل»[1]، وعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ[2]، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَتَدَاوَىٰ؟ فَقَالَ: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ** عز وجل **لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ**»[3]، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(1) أخرجه مسلم: 4/ 1739، رقم: (2204).

(2) كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ: كِنَايَةٌ عَنْ سُكُونِهِمْ وإِنْصَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ الطَّيْرَ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَىٰ السَّاكِنِ، انظر: الفائق في غريب الحديث، للزمخشري: 1/ 13.

(3) أخرجه ابن ماجه: 2/ 1137، رقم: (3436)، وأبو داود: 4/ 3، رقم: (3855)، وصحَّحه الألباني.

ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً؛ فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»[1].

وإنَّ المَرَضَ قَدَرُ اللهِ تَعَالَىٰ، والتَّدَاوِي قَدَرُ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَيَرُدُّ العَبْدُ قَدَرَ اللهِ تَعالَىٰ بِقَدَرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قالَ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «فَإِنْ ضَاقَ ذَرْعُكَ[2] عَنْ هَذَا الكَلَامِ وفَهْمِهِ، فَتَأَمَّلْ قَوْلَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه -وَقَدْ عُوتِبَ عَلَىٰ فِرَارِهِ مِنَ الطَّاعُونِ، فَقِيلَ لَهُ-: «أَتَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَىٰ قَدَرِهِ» وهَكَذَا إِذَا أَصَابَهُ مَرَضٌ بِقَدَرِ اللهِ دَافَعَ هَذَا القَدَرَ ونَازَعَهُ بِقَدَرٍ آخَرَ، يَسْتَعْمِلُ فِيهِ الأَدْوِيَةَ الدَّافِعَةَ للمَرَضِ، فَحَقُّ هَذَا الحُكْمِ الكَوْنِيِّ أَنْ يَحْرِصَ العَبْدُ عَلَىٰ مُدَافَعَتِهِ ومُنَازَعَتِهِ بِكُلِّ مَا يُمْكِنُهُ، فَإِنْ غَلَبَهُ وقَهَرَهُ، حَرَصَ عَلَىٰ دَفْعِ آثَارِهِ ومُوجِبَاتِهِ بالأَسْبَابِ التِي وَضَعَها اللهُ تَعالَىٰ لِذَلِكَ[3]، فَيَكُونُ قَدْ

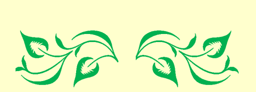
---

(1) أخرجه أبو داود: 4/ 7، رقم: (3874)، وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيحٌ لغيره».

(2) ذَرْعُكَ: طَاقَتُكَ، الذَّرْعُ: الطَّاقَةُ والتَّحَمُّلُ، جمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 691.

(3) مثالُ ذَلِكَ: الآلَامُ التِي هِيَ مِنْ آثَارِ المَرَضِ، يَدْفَعُهَا بِمَا يُسَكِّنُ أَلَمَهَا من دَوَاء، وَيُعِينُهُ عَلَىٰ مُتَطَلَّبَاتِ الحَيَاةِ وَعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وكالمُقْعَدِ الذِي يَسْتَخْدِمُ عَرَبَةً مُتَحَرِّكَةً، وَكَالذِي بِهِ ضَعْفُ نَظَرٍ؛ يستخدِمُ النَّظَّارَةَ، والذِي بِهِ ضَعْفُ سَمْعٍ؛ يَسْتَخْدِمُ السَّمَّاعَةَ؛ يَتَغَلَّبُ بِذَلِكَ علَىٰ آثَارِ المَرَضِ، وَشِبْهُ هَذَا كَثِيرٌ.

دَفَعَ القَدَرَ بالقَدَرِ، ونَازَعَ الحُكْمَ بالحُكْمِ، وَبِهَذَا أُمِرَ، بَلْ هَذَا حَقِيقَةُ الشَّرْعِ والقَدَرِ»[1].



(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 38.

الرِّسَالَةُ الرَّابِعَةُ: الذِّكْرُ شِفَاءٌ

مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ الأُمَّةِ سَلَفًا وَخَلَفًا أَنَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ والنُّفُوسِ والأَبْدَانِ مِنَ العِلَلِ والأَمْرَاضِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وإِنَّ أَفْضَلَ الذِّكْرِ أثرًا مَا تَواطَأَ عَلَيْهِ قَلْبُ العَبْدِ ولِسانُهُ، قالَ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ[1] الَّذِي مَنْ أُعْطِيَهُ اتَّصَلَ، وَمَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ، وَهُوَ قُوتُ قُلُوبِ الْقَوْمِ، الَّذِي مَتَىٰ فَارَقَهَا صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةُ دِيَارِهِمُ، الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ؛ صَارَتْ بُورًا، وَهُوَ سِلَاحُهُمُ الَّذِي

---

(1) معنىٰ (وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ): أن صاحب الذكر يعطىٰ منشورًا -أي: كتابًا- بأنه ولي لله تعالىٰ، فينتشر هذا الكتاب في أهل السماء؛ فيعرفه أهل السماء، وينتشر في أهل الأرض؛ فيحبه أهل الأرض؛ فالمنشور كتاب الملك والسلطان، والله تعالىٰ أعلم، انظر معنىٰ (منشور): تاج العروس، للزبيدي: 14/ 220.

يُقَاتِلُونَ بِهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ[1]، وَمَاؤُهُمُ الَّذِي يُطْفِئُونَ بِهِ الْتِهَابَ الطَّرِيقِ[2]، وَدَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ[3]، الَّذِي مَتَىٰ فَارَقَهُمْ؛ انْتَكَسَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ، وَالْعَلَاقَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ؛ بِهِ يَسْتَدْفِعُونَ الْآفَاتِ، وَيَسْتَكْشِفُونَ الْكُرُبَاتِ[4]، وَتَهُونُ عَلَيْهِمْ بِهِ الْمُصِيبَاتُ

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ *** فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ»[5].

---

(1) يعني بقوله (قُطَّاعَ الطَّرِيقِ)، أي: قُطَّاعُ طُرُقِ العباد إلىٰ الله تعالىٰ، من شياطين الإنس والجن، الذين يصرفون العباد عن الله تعالىٰ، والله أعلم.

(2) يعني بقوله (الْتِهَابَ الطَّرِيقِ)، أي: طريقه إلىٰ الله تعالىٰ؛ فإن العبد في دنياه مسافر إلىٰ الله تعالىٰ، بحاجة في سفره إلىٰ زاد من الطعام والرَيِّ: طعام يُقيتُ قلوبَهُمْ، ورَيٍّ يُذْهب التهاب قلوبهم، وحاجتهم إلىٰ هذا أكثر من حاجتهم إلىٰ ما يُقيتُ أبدانهم، ويَرْوِي ظمأ حُلوقِهِمْ وأَجْوافِهِمْ، والله تعالىٰ أعلم.

(3) أَسْقَامِهِمُ: جَمْعُ سَقَمٍ، والسَّقَمُ: المَرَضُ، انظر: مجمل اللغة، لابن فارس: 1/ 465.

(4) يعني: يَذْكُرُون اللهِ تَعَالَىٰ بِنِيَّةِ كَشْفِ الكُرُباتِ والمَصَائِبِ والبَلَايا والأَمْراضِ وَدَفْعِهَا وَصَرْفِهَا عَنْهُمْ؛ فَيُجِيبُهُمُ اللهُ تَعالَىٰ لِذَلِكَ.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 395.

ذِكْرُ اللهِ تعالى وِقايَةٌ مِنَ الأَمْرَاضِ

وإِنَّ فِي ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ وِقَايَةً مِنَ الأَمْرَاضِ والأَسْقَامِ والبَلايَا، وصَرْفًا لَهَا قَبْلَ أَنْ تقَعَ، فَعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَعْنِي ابْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ**»، وَقَالَ: «فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، الْفَالِجُ[1]، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ عَلَىٰ عُثْمَانَ، وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ؛ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا»[2]. وَفِي رِوَايَةٍ:

---

(1) الفالِجُ: مَرَضٌ من الأَمراضِ، عِبَارَةٌ عَنِ اسْتِرْخَاءِ أَحدِ شِقَّي البَدَنِ طُولًا، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ اليَوْمَ بالشَّلَلِ النِّصْفِي، انظر: تاج العروس، للزبيدي: 6/ 159.

(2) أخرجه أبو داود: 4/ 322، رقم: (5088)، وصحَّحه الألباني.

«فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ»[1].

(1) أخرجه ابن ماجه: 3/ 1273، رقم: (3869)، والترمذي في سننه: 5/ 465، رقم: (3388)، وصحَّحه الألباني.

فِي الاستغفارِ شِفاءٌ

إِنَّهُ وَإِنْ تَقَرَّر أَنَّ فِي ذِكْرِ اللهِ عُمُومًا شِفَاءً وَدَواءً، فَإِنَّهُ ثَمَّةَ أَذْكَارٌ مَخْصُوصَةٌ أَقْوَىٰ أَثَرًا، وأَنْجَعُ عِلَاجًا، مِنْ ذَلِكَ الاسْتِغْفَارُ الكَثِيرُ، حَكَىٰ اللهُ تَعالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[1]، قَالَ الفَخْرُ الرَّازِي: «فَسَّرُوا هَذِهِ الْقُوَّةَ بِالْمَالِ والوَلَدِ، والشِّدَّةِ فِي الأَعْضَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكُمْ مَا يَتَقَوَّىٰ بِهِ الإِنْسَانُ»[2].

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يُصِيبُ الإِنْسَانَ مِنْ بَلاءٍ وَلَا مَرَضٍ إِلَّا بِذَنْبٍ، قالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[3]، وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ**»[4]،

---

(1) هود: 52.

(2) مفاتيح الغيب، للرازي: 18/ 364.

(3) الشورىٰ: 30.

(4) قوله ﷺ: (ما اخْتَلَجَ): اضطرب، (عِرْقٌ): من عروق البدن، (ولا عينٌ إلا بذنبٍ) سَبَقَ مِنْهُ، انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني: 9/ 336.

وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ»[1]. وقالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «مَا سُلِّطَ عَلَىٰ العَبْدِ مَا يُؤْذِيهِ إِلَّا بِذَنْبٍ: يَعْلَمُهُ أَوْ لَا يَعْلَمُهُ، وَمَا لَا يَعْلَمُهُ العَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَضْعَافَ مَا يَعْلَمُهُ مِنْهَا، وَمَا يَنْسَاهُ مِمَّا عَلِمَهُ وَعَمِلَهُ أَضْعَافَ مَا يَذْكُرُهُ»[2]. وقال: «وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا أَصَابَهُ مِنْ مُصِيبَةٍ قَطُّ: دَقِيقَةٍ وَلَا جَلِيلَةٍ إِلَّا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، وَمَا يعْفُو اللهُ تَعَالَىٰ عَنهُ أَكْثَرُ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ»[3].

فَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ كُلَّ عَبْدٍ يَقَعُ مِنْهُ مِنَ الخَطَأِ مَا يَقَعُ قِلَّةً وَكَثْرَةً؛ فَإِنَّهُ لَزِمَ أَنْ يُنَظِّفَ كُلُّ أَحَدٍ نَفْسَهُ مِنْ أَوْسَاخِ الذُّنُوبِ بِالاسْتِغْفَارِ والتَّوْبَةِ والطَّاعاتِ، وَإِلَّا تَوَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ تَطْهِيرَهُ بالمَصَائِبِ والبَلايَا فِي نَفْسِهِ وَبَدَنِهِ ومَالِهِ؛ رَحْمَةً بِهِ، حَتَّىٰ لَا يُوافِيَهُ، وَقَدْ أَثْقَلَتْهُ الذُّنُوبُ والآثَامُ؛ فَيُشَدَّدَ عَلَيْهِ فِي

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: 2/ 216، رقم: (1053)، وصحَّحه الألباني.

(2) انظر: بدائع الفوائد، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 242.

(3) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المعروف بـ: (الداء والدواء)، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 74، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 291.

سَكَرَاتِ المَوْتِ وَكُرُبَاتِهِ، أَوْ يَحِقَّ عَلَيْهِ عَذَابُ القَبْرِ، أَوْ عَذَابُ النَّارِ، قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: «أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيادَتِي، وَأهلُ طَاعَتِي أهلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَمْ أُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَحْمَتِي، إِنْ تَابُوا؛ فَأَنا حبيبُهُمْ؛ لِأَنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوابينَ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا؛ فَأَنا طَبيبُهُمْ، أَبْتَلِيهِمْ بالمَصائِبِ؛ حَتَّىٰ أُطَهِّرَهُمْ مِنَ المَعايِبِ[1]»[2].

وَلِابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي مِثْلِ مَا ذَكَرْنَا، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «فَإِنْ لَمْ تَفِ هَذِهِ بِالتَّمْحِيصِ[3]، مُحِّصَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فِي الْمَوْقِفِ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَشِدَّةِ الْمَوْقِفِ، وَشَفَاعَةِ الشُّفَعَاءِ، وَعَفْوِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَإِنْ لَمْ تَفِ هَذِهِ الأَرْبَعَةُ بِتَمْحِيصِهِ؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دُخُولِ الْكِيرِ[4]، رَحْمَةً

---

(1) لم أعثر علىٰ هذا الأثر في كتب السنة المعتبرة، ولعله منقول عن أهل الكتاب، ومعناه صحيح، ولفظه مليح، والله تعالىٰ أعلم.

(2) أمراض القلوب وشفاؤها، لابن تيمية: 1/ 78.

(3) يعني: إِذَا لَمْ تَكْفِ الابْتِلَاءاتُ: مِنْ مَرَضٍ، وسَكَرَاتِ المَوْتِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وعُمُومِ الشَّدَائِدِ؛ لِتَطْهِيرِهِ مِنْ أَوْسَاخِ المَعَاصِي، وَحَطِّ مَا عَلَيْهِ مِنْ آثَامٍ؛ لَزِمَهُ أَنْ يُطَهَّرَ بِغَيْرِهَا مِنْ شَدَائِدِ القِيَامَةِ.

(4) الكِيرُ: مَوْضِعُ نَارِ الحَدَّادِ والصَّائِغِ، والمَقْصُودُ هُنَا بالكِيرِ: نَارُ جَهَنَّمَ، انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للقرطبي: 23/ 171.

فِي حَقِّهِ؛ لِيَتَخَلَّصَ وَيَتَمَحَّصَ، وَيَتَطَهَّرَ فِي النَّارِ، فَتَكُونَ النَّارُ طُهْرَةً لَهُ، وَتَمْحِيصًا لِخَبَثِهِ، وَيَكُونَ مُكْثُهُ فِيهَا عَلَىٰ حَسَبِ كَثْرَةِ الْخَبَثِ وَقِلَّتِهِ، وَشِدَّتِهِ وَضَعْفِهِ وَتَرَاكُمِهِ، فَإِذَا خَرَجَ خَبَثُهُ وَصُفِّيَ ذَهَبُهُ، وَصَارَ خَالِصًا طَيِّبًا؛ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ»[1].

فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْهَدَ الْمُبْتَلَىٰ بالمَرَضِ، أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّما ابْتَلَاهُ بالمَرَضِ بِذُنُوبِهِ، فَيَسْتَذْكِرُ الذُّنُوبَ التِي سَبَقَتْ مِنْهُ، وَتَسَبَّبَتْ فِي مَرَضِهِ؛ فَيَسْتَغْفِرُ وَيَتُوبُ مِنْهَا، فإِنْ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْها؛ فَلْيَسْتَغْفِرْ مِنْ ذُنُوبِهِ عامَّةً، وإِذَا تَابَ وَلَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، وَقَالَ: هَذَا بِذُنُوبِي؛ صَارَتْ فِي حَقِّهِ نِعْمَةً، وأَسْرَعَ اللهُ تَعالَىٰ لَهُ بالشِّفَاءِ والعَافِيَةِ.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 163.

فِي الحَوْقَلَةِ[1] شِفَاءٌ

وَإِنَّ مِنَ الأَذْكَارِ المَخْصُوصَةِ النَّافِعَةِ للاسْتِشْفَاءِ مِنَ الأَمْرَاضِ قَوْلُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، وَهُوَ ذِكْرٌ مُجَرَّبٌ نَافِعٌ، وَلَقَدْ كَانَ النبي ﷺ يُوصِي بِهَا أَصْحَابَهُ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، وَكَانَ الوَاحِدُ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ يُوصِي بِهَا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ مِنْ أَصْحابِهِ وَصِيَّةً خَاصَّةً؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِي: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[2].

أَمَّا مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ؛ فَقَدْ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «لفظُ (الحَوْل) يَتَنَاوَلُ كلَّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، والقُوَّةُ هِيَ القُدْرَةُ علَىٰ ذلك التَّحَوُّلِ؛

---

(1) الحَوْقَلَةُ: قَوْلُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، انظر: كتاب الأفعال، لابن القطاع: 1/ 274.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 5/ 133، رقم: (4205)، ومسلم: 4/ 2076، رقم: (2704).

فَدَلَّتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ العَظِيمَةُ علىٰ أَنَّهُ لَيْسَ للعالَمِ العُلْوِيِّ والسُّفْلِيِّ حَرَكَةٌ وتَحَوُّلٌ مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ، ولا قُدْرِةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا باللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ لَفْظَ الحَوْلِ يَعُمُّ كُلَّ تَحَوُّلٍ»[1].

(1) شرح حديث النزول، لابن تيمية: 186.

سِرُّ كَلِمَةِ: (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ)

وأَمَّا سِرُّ تَأْثِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ؛ فقد قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «أَمَّا تَأْثِيرُ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، فَلِمَا فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّفْوِيضِ وَالتَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ كُلِّهِ لَهُ، وَعَدَمِ مُنَازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَعُمُومِ ذَلِكَ لِكُلِّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَالْقُوَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ التَّحَوُّلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِاللهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَقُومُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ شَيْءٌ. فَإِنَّهُ مَا يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا بِـ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، وَلَهَا تَأْثِيرٌ عجيب في طَرْدِ الشيطانِ»[1]، والعِلَاجِ مِنَ الأَمْرَاضِ والهُمُومِ، وسَائِرِ مَا يُصِيبُ الإِنْسانَ، واللهُ المُسْتَعانُ.

وَإِنَّما كَانَتْ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) كَنْزًا؛ لِأَنَّ مَنْ وَقَعَ عَلَىٰ كَنْزٍ؛ أَصَابَ بِهِ كُلَّ خَيْرٍ؛ فَبِهِ يَقْضِي مَا يُحِبُّ ومَا حُرِمَ مِنْهُ مِنْ رَغَبَاتٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ وَقَعَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ هَذِهِ الكَلِمَةِ المُبَارَكَةِ؛ فَقَدْ أَصَابَ كُلَّ خَيْرٍ؛ فَمَنْ أَرَاد

---

(1) الطب النبوي، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 156.

التَّحَوُّلَ مِنَ المَرَضِ إِلَىٰ السَّلَامَةِ وتَمَامِ العَافِيَةِ؛ فَبِحَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ؛ ومَنْ أَرَادَ التَّحَوُّلَ مِنَ الفَقْرِ إِلَىٰ الغِنَىٰ؛ فَبِحَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ، ومَنْ أَرَادَ التَّحَوُّلَ مِنَ الذُّلِّ إِلَىٰ العِزِّ؛ فَبِحَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ، ومَنْ أَرَادَ التَّحَوُّلَ مِنَ الضَّعْفِ إِلَىٰ القُوَّةِ؛ فَبِحَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ، ومَنْ أَرَادَ التَّحَوُّلَ مِنَ الخَوْفِ إلىٰ الأَمْنِ؛ فَبِحَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ، ومَنْ أَرَادَ التَّحَوُّلَ مِنَ الضَّلالَةِ إلىٰ الهِدَايةِ؛ فَبِحَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ. فَإِنَّ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، دَوَاءٌ لِكُلِّ دَاءٍ، وخَلَاصٌ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ؛ فَعَلَىٰ مَنْ أَرَادَ التَّحَوُّلَ مِنْ حَالِ مَرَضِهِ إِلَىٰ حَالِ شِفَائِهِ وَعَافِيَتِهِ وَسَلَامَتِهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ بِلِسَانِهِ، مُطْمَئِنًّا بِهَا قُلْبُهُ، وَأَنْ يُوْقِنَ وهُوَ يَذْكُرُ رَبَّهُ بِهَا أَنَّ الحَوْلَ والقوَّة ليستْ إِلَّا للهِ سَبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ شِفَائِهِ وَتَغْيِيرِ حَالِهِ؛ فيفوِّضُ كُلَّ أَمْرِه للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، ويُسَلِّمُ لَهُ حَوائِجَهُ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَعَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَسْرَعَ مَا يَكُونُ، وَأَقْرَبَ مِمَّا يَرْجُو العَبْدُ.

فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ شِفَاءٌ

وَإِنَّ مِنَ الأَذْكَارِ المَخْصُوصَةِ المُجَرَّبَةِ النَّافِعَةِ للاسْتِشْفَاءِ مِنَ الأَمْرَاضِ الصَّلَاةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، «إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ **فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»**. قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ **قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ **قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ **قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ **قَالَ: «إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»**[1]. وفي روايةٍ: قالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه: أَلَا أَجْعَلُ دُعائِي لَكَ كُلَّهُ؟ **قَالَ: «إِذَنْ يَكْفِيكَ اللهُ هَمَّ الدُّنْيَا وَهَمَّ الآخِرَةِ»**[2].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 4/ 218، رقم: (2457)، وحسَّنه الألباني.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 2/ 214، رقم: (3114)، والبزار في سننه: 15/ 345، رقم: (8911).

أَمَّا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﵁: (أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟)؛ فَقَالَ عَلِيٌّ القَارِيُّ: «أَيْ: أُصَلِّي عَلَيْكَ بَدَلَ مَا أَدْعُو بِهِ لِنَفْسِي، وأَصْرِفُ بِصَلَاتِي عَلَيْكَ جَمِيعَ الزَّمَنِ الَّذِي كُنْتُ أَدْعُو فِيهِ لِنَفْسِي. وَقَوْلُهُ ﷺ: (إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)، أَيْ: إِذَا صَرَفْتَ جَمِيعَ زَمَانِ دُعَائِكَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ؛ كُفِيتَ مَا يَهُمُّكَ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ؛ وأُعْطِيتَ مَرَامَ[1] الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ تعالَىٰ، وَتَعْظِيمِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالِاشْتِغَالِ بِأَدَاءِ حَقِّهِ عَنْ أَدَاءِ مَقَاصِدِ نَفْسِهِ، وَإِيثَارِهِ بِالدُّعَاءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ. مَا أَعْظَمَها مِنْ خِلَالٍ جَلِيلَةِ الْأَخْطَارِ[2]، وَأَعْمَالٍ كَرِيمَةِ الْآثَارِ، وإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ (يُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)»[3]. وَلَا هَمَّ أَحَبَّ للمَرِيضِ أَنْ يُكَشَفَ مِنْ مَرَضِهِ وَسَقَمِهِ.

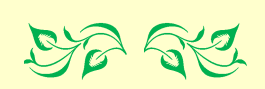
---

(1) الْمَرَامُ: الْمَطْلَبُ، ورَامَ الشَّيْءَ: طَلَبَهُ، انظر: مختار الصحاح، للرازي: 1/ 132.

(2) الخَطَرُ: ارْتِفاعُ القَدْرِ والمالِ والشَّرَفِ والمَنْزِلَةِ. ورَجُلٌ خطيرٌ: أَيْ لَهُ قَدْرٌ. ويقال: إِنَّهُ لَعظيمُ الخَطَرِ فِي حُسْنِ فِعالِهِ وشَرَفِهِ، وصغيرُ الخَطَرِ فِي سوءِ فِعالِهِ ولُؤْمِهِ. وخَطَرُ الرَّجُلِ: قَدْرُهُ ومَنْزِلَتُهُ، وخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الرِّفْعَةَ، وَأَمْرٌ خَطِيرٌ: رَفيعٌ، وجَمْعُهُ: أَخْطارٌ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 4/ 251.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 746.

أَلَا فتداوَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، والْهَجْ بِهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ: مِنْ تَسْبِيحٍ وتَحْمِيدٍ وتَهْلِيلٍ وتَكْبِيرٍ واسْتِغْفَارٍ وَحَوْقَلَةٍ وصَلَاةٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَمَا أَسْرَعَ -ساعتئذٍ- الشِّفَاءَ. فَإِذَا مَا لَزِمَ المَرِيضُ -الذِي يَرْجُو العَافِيَةَ- ذِكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَلْيُبْشِرْ بِشِفَاءٍ قَرِيبٍ، وَفَرَجٍ عَاجِلٍ.



الرِّسَالَةُ الخَامِسَةُ: الدُّعاءُ شِفاءٌ

وإنَّ مِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ ودَفْعِ البَلَاءِ الدُّعَاءَ الصَّادِقَ مِنْ قَلْبٍ صَادِقٍ، لَا سِيَّمَا حِيْنَ ضَعْفِ الإِنْسَانِ واضْطِرَارِهِ والْتِجَائِهِ الصَّادِقِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، أَخْبَرَ بِذَا رَبُّ العِبَادِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[1]، قالَ سَيِّد قُطْب: «فالمُضْطَرُّ فِي لَحَظَاتِ الكُرْبَةِ والضِّيقِ لَا يَجِدُ لَهُ مَلْجَأً إِلَّا اللهَ تَعالَىٰ يَدْعُوهُ لِيَكْشِفَ عَنْهُ الضُّرَّ والسُّوءَ؛ ذَلِكَ حِينَ تَضِيقُ الحَلْقَةُ، وَتَشْتَدُّ الخَنْقَةُ، وتَتَخَاذَلُ القُوَىٰ، وَيَنْظُرُ الإِنْسانُ حَوالَيْهِ، فَيَجِدُ نَفْسَهُ مُجَرَّدًا مِنْ أَسْبَابِ الخَلاصِ، لَا قُوَّتُهُ، وَلَا قُوَّةَ فِي الأَرْضِ تُنْجِدُهُ. وَكُلُّ مَا كَانَ يُعِدُّهُ لِسَاعَةِ الشِّدَّةِ قَدْ زَاغَ عَنْهُ، أَوْ تَخَلَّىٰ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَسْتَيْقِظُ الفِطْرَةُ، وَيَتَّجِهُ الإِنْسَانُ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ؛ وَلَوْ كانَ قَدْ نَسِيَهُ مِنْ قَبْلُ فِي سَاعَاتِ الرَّخَاءِ. فَهُوَ الذِي يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ. هُوَ

---

(1) النمل: 62.

وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ يُجِيبُهُ ويَكْشِفُ عَنْهُ السُّوءَ»[1]. وَلَا شَكَّ أَنَّ المَرِيضَ مُضْطَرٌّ، اضْطَرَّهُ المَرَضُ إِلَىٰ الدُّعَاءِ، فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا الاضْطِرَارَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بالدُّعَاءِ وإِظْهَارِ الحَاجَةِ والافْتِقَارِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَمَا أَسْرَعَ الإِجَابَةَ للسَّائِلِ المُضْطَرِّ المُلْتَجِئِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَا أَسْرَعَ أَنْ يَشْفيَهُ اللهُ ﷻ مِنْ مَرَضِهِ، ويُخْرِجَهُ مِنْ شِدَّتِهِ.

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب: 5/ 2658.

كَهْلٌ[1] مُضْطَرٌّ؛ يُسْتَجَابُ لَهُ

وَلَقَدْ حَدَثَ أَنِّي كُنْتُ ضُحَىٰ يوم فِي سُوقِ المُخَيَّمِ؛ فَعَمَدْتُ إِلَىٰ بَائِعٍ كَهْلٍ، لَيْسَ يَبِيعُ إِلَّا الفِلْفِلَ الأَخْضَرَ. يَبِيعُ عَلَىٰ عَرَبَةٍ يَدْفَعُهَا، وَيَجُرُّهَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ، دُونَمَا حِمَارٍ، يَبْدُو عَلَيْهِ قُوَّةُ رَجُلَيْنِ شَدِيدَيْنِ فِي رَجُلٍ، أَشْعَثِ[2] الشَّعْرِ، رَثِّ الثِّيَابِ[3]، لا تَأْخُذُ فِيهِ العَيْنُ ولَا تُعْطِي... أَخَذْتُ أَنْتَقِي مِنَ الفِلْفِلِ مَا تَقِلُّ حَرَارَتُهُ، وَيَطِيبُ طَعْمُهُ. خَطَا نَحْوَنَا رَجُلٌ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنَّا، وَقَالَ لِي: تَدْرِي مَنْ هَذَا الذِي تَشْتَرِي مِنْهُ؟ -والبَائِعُ يَسْمَعُ- قُلْتُ: مَنْ يَكُونُ؟ قَالَ: هَذَا كَانَ كَافِرًا، وَأَسْلَمَ، أَشْفَقْتُ عَلَىٰ البَائِعِ مِنْ أَنْ يَكُونَ آذَاهُ

---

(1) الْكَهْلُ: ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةٍ ووَخَطَهُ الشَيْبُ، فَمَا فَوْقَ إلىٰ مطلع الخمسين، انظر: الدلائل في غريب الحديث، للسرقسطي: 3/ 1058، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: 4/ 142.

(2) الشَّعَثُ: أَنْ يَتَفَرَّقَ الشَّعْرُ، دُونَمَا تَسْرِيحٍ وتَمْشِيطٍ، انظر: غريب الحديث، لإبراهيم الحربي: 2/ 589.

(3) رَثَّ الثِّيَابِ: ثِيَابُهُ قَدِيمَةٌ رَدِيئَةٌ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 15/ 44.

مَا سَمِعَ. تَوَقَّعْتُ أَنْ يَغْضَبَ، وَأَنْ يَنَالَ مِنَ الرَّجُلِ -فَأَهْلُ السُّوقِ فِيهِمْ جُرْأَةُ لِسَانٍ- لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ مِمَّا تَوَقَّعْتُ. أَخَذَ البَائِعُ يَرْوِي لِي الحِكَايَةَ دُونَ أَنْ أَطْلُبَ مِنْهُ، قَالَ: كُنْتُ تَارِكًا لِلصَّلَاةِ، لَمْ أَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فِي حَيَاتِي قَطُّ، مُقِيمًا عَلَىٰ المَعَاصِي: صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، بَعِيدًا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، مَفْتُونًا بِشَبَابِي وَقُوَّتِي، قَضَيْتُ صِبَايَ وَفُتُوَّتِي وَصَدْرَ شَبَابِي عَلَىٰ هَذِهِ الحَالِ.. أَصَابَنِي مَرَضٌ خَطِيرٌ؛ فَأُدْخِلْتُ المُسْتَشْفَىٰ. تَوَقَّفَ القَلْبُ؛ فَأُدْخِلْتُ العِنَايَةَ الفَائِقَةَ، مَكَثْتُ فِي غَيْبُوبَةٍ عَمِيقَةٍ أَيَّامًا، أَيْأَسَتِ الأَطِبَّاءَ مِنْ شِفَائِي؛ فَأَبْلَغُوا أَهْلِي بِيَأْسِهِمْ مِنْ حَالِي، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ رَفْعَ الأَجْهِزَةِ عَنِّي، لِيُعْلِنُوا خَبَرَ وَفَاتِي. تَكَاثَرَ الأَهْلُ فِي المُسْتَشْفَىٰ، وَأَخَذُوا يُجَهِّزُونَ جَهَازِي: مِنْ كَفَنٍ وَقَبْرٍ وَلَوَازِمِ الأَمْوَاتِ... فَجْأَةً فُقْتُ مِنْ غَيْبُوبَتِي. نَظَرْتُ حَوْلِي، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّايَّ، وَجَدْتُنِي وَحْدِي... رَفَعْتُ بَصَرِي إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَقُلْتُ بِلِسَانٍ مُضْطَرٍّ، وَقَلْبٍ قَدْ مَلَأَهُ الخَوْفُ مِنْ لِقَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ الحَالَةِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنِي أُحِبُّكَ؛ وَإِنْ كُنْتُ أَعْصِيكَ. أَرْجُوكَ يَا ربُّ، لَا تُمِتْنِي عَلَىٰ هَذِهِ الحَالَةِ؛ وَلَكَ عَلَيَّ لَئِنْ شَفَيْتَنِي أَنْ أَعْبُدَكَ كَمَا تُحِبُّ: أُصَلِّي لَكَ، وَأُطِيعُكَ، وَأَتْرُكُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْ مَعَاصٍ... أَخَذْتُ أَشْعُرُ بِقُوَّةٍ غَرِيبَةٍ تَدُبُّ فِي أَوْصَالِي بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ، بَدَأَتِ الحَيَاةُ تَسْرِي فِي جَسَدِي مِنْ جَدِيدٍ...

دَخَلَ عَلَيَّ الأَطِبَّاءُ كالمُعْتَادِ. فَجَأَهُمْ حَالِي. لَمْ يُصَدِّقُوا مَا رَأَوْا. سَأَلُونِي: ...؟ فَأَخْبَرْتُهُمْ... وَهَا أَنَا، والحَمْدُ للهِ تَعَالَىٰ فِي أَتَمِّ العَافِيَةِ، أَسْعَىٰ عَلَىٰ رِزْقِ عِيَالِي، أَبْتَغِي القَلِيلَ الكَافِيَ، وَأَتَعَبَّدُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا بَقِيَ؛ فَمَا أَسْعَدَنِي بِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ!... أَدْهَشَنِي الرَّجُلُ، قُلْتُ لِنَفْسِي: كَمْ للهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ مِنْ أَسْرَارٍ وأَخْبَارٍ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ!!!

اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ الشَّافِي

لَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ الْمُدَاوِي والشَّافِي عَلَىٰ الحَقِيقَة، فَلَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ، وَإِنَّمَا الأَطِبَّاءُ أَدَوَاتٌ وَأَسْبَابٌ، لَا يَنْفَعُ طِبُّهُمْ إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللهُ تَعَالَىٰ لِطِبِّهِمْ بالشِّفَاءِ؛ فعَنْ أَبِي رِمْثَةَ[1] رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ أَبِي، فَرَأَىٰ الَّتِي بِظَهْرِهِ[2]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أُعَالِجُهَا لَكَ؛ فَإِنِّي طَبِيبٌ؟ قَالَ: «**أَنْتَ رَفِيقٌ، وَاللهُ الطَّبِيبُ**»[3].

---

(1) أبو رِمْثَةَ: هُوَ رِفَاعَةُ بْنُ يَثْرِبِيٍّ التَّمِيمِيُّ، هُوَ وأَبُوهُ صَحَابِيَّانِ، انظر: الكنىٰ والأسماء، للإمام مسلم: 1/ 328.

(2) الَّتِي بِظَهْرِهِ: أَيْ: ظَاهِرَ اللَّحْمِ الْمُكَبْكَبِ، مِنْ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ الَّذِي خُلِقَ مَعَ خَلْقِهِ ﷺ بِالْخِلْقَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَظَنَّ أَنَّهُ غدة مرض، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 6/ 2272.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 29/ 39، رقم: (17492)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

قَالَ القَاضِي البَيْضَاوِيُّ: قَوْلُهُ ﷺ: «(أَنْتَ رَفِيقٌ) أَيْ: الذِي يَرْفُقُ بالعِلَاجِ، مِنَ الرِّفْقِ: (وَهُوَ اللُّطْفُ وحُسْنُ الصَّنِيعِ إِلَيْهِ[1])، (واللهُ الطَّبِيبُ)، أَيْ: المُدَاوِي الحَقِيقِي بالدَّوَاءِ الشَّافِي عَنِ الدَّاءِ»[2] الذِي يَعْلَمُهُ العَبْدُ والذِي لَا يَعْلَمُهُ، وقالَ عَلِيٌّ القَارِي: قَوْلُهُ ﷺ: «**(وَاللهُ الطَّبِيبُ)**، أَيْ: هُوَ الْعَالِمُ بِحَقِيقَةِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ الصِّحَّةِ وَالشِّفَاءِ، المُعافِي الْمُزِيلُ لِلْأَدْوَاءِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا للهِ الْوَاحِدِ الْمَوْصُوفِ بِالْبَقَاءِ»[3].

فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ عَلَىٰ العَبْدِ العَاقِلِ الذِي يَرْجُو الشِّفَاءَ الأَكِيدَ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ شِفَائِهِ مِنَ القَادِرِ عَلَيْهِ، الذِي بِيَدِهِ الطِّبُّ والدَّوَاءُ، وأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وَأَنَّ الأَطِبَّاءَ أَدَوَاتٌ لَا يَنْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

---

(1) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 784.

(2) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للقاضي البيضاوي: 2/ 470.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 6/ 2272.

القُرْآنُ يُؤَكِّدُ الوَعْدَ

وَلَقَدْ جَاءَ تَأْكِيدُ هَذَا فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، فإنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا اُضْطُرَّ واشْتَدَّ عَلَيْهِ المَرَضُ، وَتَطَاوَلَ زَمَانُهُ، دَعَا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]؛ فَأَسْرَعَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ الشِّفَاءَ، وَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾[2]. وَفِي ذِكْرِ يُونُسَ، ذِي النُّونِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شِفَاءٌ، فَإِنَّهُ لَمَّا اُضْطُرَّ قَالَ فِي شِدَّتِهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»؛ فَأَسْرَعَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ بِالإِجَابَةِ، فَقَالَ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]. وعَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ

---

(1) الأنبياء: 83.

(2) الأنبياء: 84.

(3) الأنبياء: 88.

ذِي النُّونِ[1]**، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»**[2].

كَمَا جَاءَ الوَعْدُ الأَكِيدُ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي الصَّادِقِ المُقْبِلِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، المُسْتَجِيبِ لَهُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3].

---

(1) ذو النون: هو نبي الله يونس عليه السلام.

(2) أخرجه الترمذي في سننه: 5/ 529، رقم: (3505)، وصحَّحه الألباني.

(3) البقرة: 186.

الإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ بُشْرَى الجَوابِ

فَمَا عَلَىٰ المَرِيضِ المُبْتَلَىٰ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَيُعَظِّمَ رَبَّهُ ﷻ، وَيَسْتَغْفِرَ مِنْ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ يُصَلِّيٰ عَلَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بِمَا يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعاءِ، وَلْيُكَرِّرِ الدُّعَاءَ، ولئن تأخرت الإجابة؛ فَلَا يَيْأَسْ، وَلْيُلِحَّ فِيهِ عَلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعالَىٰ يُحِبُّ العَبْدَ المِلْحَاحَ فِي الدُّعَاءِ؛ قال صَالِحٌ المُرِّيُّ: «مَنْ أَدْمَنَ قَرْعَ الْبَابِ؛ يُوشَكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ»[1]، «وَلَا يَمَلُّ اللهُ ﷻ مِنَ الْعَطَاءِ؛ حَتَّىٰ يَمَلَّ الْعَبْدُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَمَنْ عَجِلَ وَتَبَرَّمَ؛ فَنَفْسَهُ ظَلَمَ. فعَنْ مَرْوَانَ الْعِجْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي عِشْرِينَ سَنَةً فِي حَاجَةٍ فَمَا قَضَاهَا حَتَّىٰ الْآنَ، وَأَنَا أَدْعُوهُ فِيهَا، وَلَا أَيْأَسُ مِنْ قَضَائِهَا»[2]، «وإِنَّ مَنْ صَبَرَ عَلَىٰ حَاجَتِهِ؛ ظَفِرَ بِهَا»[3]، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ يُؤَخِّرُ الجَوابَ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْ عَبْدِه مِنْ أَلْوانِ العِبَادَاتِ مَا هُوَ أَنْفَعُ للعَبْدِ مِنْ إِجَابَةِ الدُّعاءِ:

---

(1) عيوب النفس، لأبي عبد الرحمن السلمي: 1/ 6.

(2) الاستذكار، للقرطبي: 2/ 526.

(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح: 2/ 179.

مِنْ كِسْرَةِ القَلْبِ، وخُشُوعِهِ، وافْتِقَارِهِ، وَتَعْظِيمِهِ الرَّبَّ ﷻ، وَسَكْبِ الدَّمْعِ، وَقِيامِ اللَّيلِ، وكَثْرَةِ الذِّكْرِ... وإنَّ للهِ تَعَالَىٰ فِي عِبَادِهِ حِكَمٌ وأَسْرَارٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ.

اليَقِينُ وتَعَلُّقُ القَلْبِ بِاللهِ تَعَالى شَرْطَانِ لِلإِجَابَةِ

كَما يَلْزَمُ العَبْدَ الدَّاعِيَ اليَقِينُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الدُّعَاءِ، وَثِقَتُهُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَيُجِيبُهُ إِلَىٰ حَاجَتِهِ، وَقُوَّةُ رَجَائِهِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأَنَّهُ لَنْ يَرُدَّهُ، وَأَنَّ أَمْرَ شِفَائِهِ عَلَيْهِ هَيِّنٌ يَسِيرٌ؛ فَعَلَىٰ قَدْرِ يَقِينِ العَبْدِ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ؛ يَكُونُ جَوَابُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ لِعَبْدِهِ، كَمَا يَلْزَمُهُ حُضُورُ القَلْبِ والتَّعَلُّقُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ سَاعَةَ الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّ القَلْبَ السَّاهِيَ الغَافِلَ بَعِيدٌ عَنِ الإِجَابَةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»[1].

وَفِي شَرْحِ الحَدِيثِ قَالَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: (وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ)، أَيْ: «ادعُوهُ مُعْتَقِدِينَ لِوُقُوعِ الإِجَابَةِ، لِأَنَّ الدَّاعِيَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَحَقِّقًا فِي الرَّجَاءِ؛ لَمْ يَكُنْ رَجَاؤُهُ صَادِقًا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ رَجَاؤُهُ صَادِقًا؛ لَمْ

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 5/ 517، رقم: (3479)، وحسَّنه الألباني.

يَكُنِ الدُّعَاءُ خَالِصًا، ولَمْ يَكُنِ الدَّاعِي مُخْلِصًا، فَإِنَّ الرَّجَاءَ هُوَ البَاعِثُ عَلَىٰ الطَّلَبِ، وَلَا يَتَحَقَّقُ الفَرْعُ إِلَّا بِتَحَقُّقِ الأَصْلِ»[1].

وَقَالَ عَلِيٌّ القَارِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَيْ: «وَأَنْتُمْ مُعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ لَا يُخَيِّبُكُمْ لِسَعَةِ كَرَمِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَإِحَاطَةِ عِلْمِهِ، لِتَحَقُّقِ صِدْقِ الرَّجَاءِ وَخُلُوصِ الدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ مَا لَمْ يَكُنْ رَجَاؤُهُ وَاثِقًا؛ لَمْ يَكُنْ دُعَاؤُهُ صَادِقًا. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبِ غَافِلٍ مُعْرِضٍ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْ عَمَّا سَأَلَهُ، لَاهٍ مِمَّا سَأَلَهُ أَوْ مُشْتَغِلٍ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهَذَا عُمْدَةُ آدَابِ الدُّعَاءِ، وَلِذَا خُصَّ بِالذِّكْرِ»[2].

وَقَالَ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «وَمَعْنَىٰ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ: أَيْ: مَعكُمْ نُورُ الْيَقِينِ حَتَّىٰ يَنْجَابَ[3] لَكُمُ الْحِجَابُ وَيَنْفَلِقَ، وتَنْفَذَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ رَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَقَوْلُهُ: (**لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**)؛ أَيْ: لَا يَعْبَأُ

---

(1) قوت المغتذي على جامع الترمذي، للسيوطي: 2/ 858.

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 4/ 1531.

(3) يَنْجَابُ: يَنْخَرِقُ، وَيَنْكَشِفُ، وَيَنْشَقُّ وَيَنْقَطِعُ، انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية: 1/ 144.

بِسُؤَالِ سَائِلٍ مَشْغُولِ الْقَلْبِ بِمَا أَهَمَّهُ مِن دُنْيَاهُ، قَالَ الإِمَامُ الرَّازِيّ: أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ مَعَ غَفلَةِ الْقَلْبِ لَا أَثَرَ لَهُ»[1].

أَمَّا مَنْ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعالَىٰ عَلَىٰ شِفَائِهِ، وإِزَالَةِ بِلَائِهِ؛ فالإِجَابَةُ عَنْهُ بَعِيدَةٌ، والبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِهِ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: لَا بَأْسَ، طَهُورٌ**[2] **إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّىٰ تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَنَعَمْ إِذًا**»[3].

---

(1) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: 1/ 54.

(2) قوله ﷺ: (لَا بَأْسَ، طَهُورٌ) أَي: هَذَا الْمَرَض مُطَهِّر لَكَ من الذُّنُوب. قَوْلُهُ: قَالَ الْأَعَرَابِيُّ: (قُلْتَ: طَهُورٌ؟)، قَوْلُ الْأَعَرَابِيِّ هَذَا استبعاد مِنْهُ للطَّهَارَة والشِّفَاءِ مِنَ المَرَضِ؛ فَلذَلِك قَالَ: بل هِيَ حمىٰ تَفُور من الفوران وَهُوَ الغليان، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: 25/ 148.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 4/ 202، رقم: (3616).

قال القَسْطَلَّانِيُّ: «ثُمَّ إِنَّ الطَّبَرَانِيَّ زَادَ فِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ للأَعْرَابِيِّ: إِذْ أَبَيْتَ؛ فَهِيَ كَمَا تَقُولُ[1]، وقَضَاءُ اللهِ تعالَىٰ كَائِنٌ، فَمَا أَمْسَىٰ مِنَ الغَدِ إِلَّا مَيِّتًا، وَأَنَّ الحَافِظَ ابنَ حَجَرٍ قالَ: إنَّ بِهَذهِ الزِّيادَةِ يَظْهَرُ دُخُولُ الحَدِيثِ فِي عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ»[2].

(1) أي: جعل الله تعالىٰ المرض كما قلت: أنه يميتك ويزيرك القبر.

(2) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني: 10/ 424.

رُبَاعِيَّةُ الدُّعَاءِ

ثُمَّ لِيُبْشِرِ الدَّاعِي رَبَّهُ بِصِدْقٍ، وَحُضُورِ قَلْبٍ، وَتَعَلُّقٍ بِاللهِ تَعَالَىٰ، واضْطِرَارٍ إِلَيْهِ بِإِحْدَىٰ أَرْبَعٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ ﷻ لَهُ الإِجَابَةَ؛ فَيَكُونُ الشِّفَاءُ العَاجِلُ السَّرِيعُ؛ وَإِمَّا أَنْ يُؤَخِّرَ الإِجَابَةَ؛ لِيُؤْجَرَ عَلَىٰ البَلَاءِ والدُّعَاءِ، وَيُمْحَىٰ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتٍ وَحَوْبَاتٍ[1]؛ وَإِمَّا أَنْ يُرَدَّ بِهِ مِنَ بَلاءٍ نَازِلٍ بِهِ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ بَلَاءِ المَرَضِ، وَأَضَرُّ عَلَيْهِ مِنْهُ؛ وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ أَجْرَ الدُّعاءِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ؛ لِعِلْمِهِ سُبْحانَهُ أَنَّ المَرَضَ أَصْلَحُ للعَبْدِ مِنَ العَافِيَةِ؛ وَلِيَجِدَ هُنَالِكَ فِي القِيَامَةِ أَضْعَافَ مَا كَانَ يَرْجُو مِنْ كَشْفِ البَلَاءِ.

واعْلَمْ أَنَّ خِيرَةَ اللهِ تَعَالَىٰ لِعَبْدِهِ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا خَيْرٌ مِنْ خِيرَتِهِ لِنَفْسِهِ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ العَبْدِ، وأَحْكَمُ فِي تَقْدِيرِهَا، وَأَرْحَمُ بِهِ وأَرْفَقُ مِنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ؛ فَلْتُسَلِّمْ نَفْسَكَ وَأَمْرَكَ لِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيكَ، وَأَنْتَ مُطْمَئِنٌّ أَنَّ مَا قَضَاهُ لَكَ خَيْرٌ مِمَّا تَشْتَهِيهِ وَتَتَمَنَّاهُ.

---

(1) حَوْبَات: آثَامٌ، جَمْعُ حَوْبَةٍ، والحَوْبَةُ: الإِثْم، انظر: تاج العروس، للزبيدي: 2/ 322.

الرِّسَالَةُ السَّادِسَةُ: الرُّقَى الشَّرْعِيَّةُ[1] شِفَاءٌ

ولَا جَرَمَ[2] أَنَّ الاسْتِشْفَاءَ بالرُّقَىٰ الشَّرْعِيَّة -مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ: الفَاتِحَةِ، والإِخْلاصِ، والمُعَوِّذَتَيْنِ، وَمَا تيسَّرَ مِنَ القُرْآنِ- مَشْرُوعٌ نَافِعٌ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ، وَأَكْثَرِهَا أَثَرًا قِرَاءَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ، أَخْبَرَ بِذَلِكَ اللهُ

(1) الرُّقَىٰ: مَا يُقْرَأُ عَلَىٰ المَرِيضِ مِنَ الآياتِ القُرْآنِيَّةِ، أَوِ الأَدْعِيَةِ المَشْرُوعَةِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الأَدْعِيَةِ المُبَاحَةِ المُجَرَّبَةِ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَىٰ: «وَقَدْ أَجْمَعَ العُلَماءُ عَلَىٰ جَوازِ الرُّقَىٰ، عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلاثَةِ شُرُوطٍ:

الأول: أَنْ يَكُونَ بِكَلَامِ اللهِ تَعالَىٰ، وبِأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ.

الثاني: أَنْ يَكُونَ بِاللِّسَانِ العَرَبِيِّ، أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ.

الثالث: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقْيَةَ لَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا، بَلْ باللهِ تَعالَىٰ»، انظر: المفيد في مهمات التوحيد، لعبد القادر صوفي: 1/ 137.

(2) لا جَرَمَ: حَقًّا، وتأتي بمعنىٰ لابُدَّ، انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: 1/ 176، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر: 1/ 366.

تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].

قَالَ الفَخْرُ الرَّازِي: «وَلَفْظَةُ (مِنْ) هَاهُنَا لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ، بَلْ هِيَ لِلْجِنْسِ، وَالْمَعْنَىٰ وَنُنَزِّلُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ قُرْآنٌ مَا هُوَ شِفَاءٌ؛ فَجَمِيعُ الْقُرْآنِ شِفَاءٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ شِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَشِفَاءٌ أَيْضًا مِنَ الْأَمْرَاضِ الْجُسْمَانِيَّةِ، أَمَّا كَوْنُهُ شِفَاءً مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا كَوْنُهُ شِفَاءً مِنَ الْأَمْرَاضِ الْجُسْمَانِيَّةِ؛ فَلِأَنَّ التَّبَرُّكَ بِقِرَاءَتِهِ يَدْفَعُ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاضِ»[2].

وَفِي مَأْثُورِ التَّعَوُّذِ مِنَ الأَمْرَاضِ كِفَايَةٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ التَّعَوُّذَ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[3].

---

(1) الإسراء: 82.

(2) تفسير مفاتيح الغيب، للرازي: 21/ 390.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 7/ 134، رقم: (5750)، ومسلم: 4/ 1721، رقم: (2191).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ﵁، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عُثْمَانُ: وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، قَالَ: «**فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ ﷻ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ**»(1)، وفي رواية: «**اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ**»(2).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ؛ إِلا عُوفِيَ**»(3).

و«**عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ**

---

(1) أخرجه أبو داود: 4/ 11، رقم: (3891)، وصحَّحه الألباني.

(2) أخرجه ابن ماجه: 2/ 1163، رقم: (3522)، وصحَّحه الألباني.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 4/ 40، رقم: (2137)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

بَعْضِنَا؛ لِيُشْفَىٰ بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»[1]. قالَ النَّوَوِيُّ: «وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ رِيقِ نَفْسِهِ عَلَىٰ أُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ، ثُمَّ يَضَعُهَا عَلَىٰ التُّرَابِ، فَيَعْلَقُ بِهَا مِنْهُ شَيْءٌ، فَيَمْسَحُ بِهِ عَلَىٰ الْمَوْضِعِ الْجَرِيحِ أَوِ الْعَلِيلِ، وَيَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ فِي حَالِ الْمَسْحِ وَاللهُ أَعْلَمُ»[2].

وكانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ للمَرِيضِ إِذَا عَادَهُ بِقَوْلِ: **(لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ)**، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّىٰ تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَنَعَمْ إِذًا**»[3]. وقوله ﷺ: «(لَا بَأْسَ)، أَيْ: لَا شِدَّةَ عَلَيْكَ، ولَا عذَابَ، أَيْ: رَفَعَ اللهُ عَنْكَ ذَلِكَ. وقوله: (طَهُورٌ) أَي: هَذَا الْمَرَض

---

(1) أخرجه مسلم: 4/ 1724، رقم: (2194)، وابن ماجه: 2/ 1163، رقم: (3521).

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: 14/ 184.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 4/ 202، رقم: (3616).

مُطَهِّرٌ لَكَ مِنَ الذُّنُوبِ؛ فلَا مَشَقَّةَ وَلَا تَعَبَ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ. وقوله: (إِنْ شَاءَ اللهُ تعالىٰ) دُعَاءٌ لَهُ، لَا خَبَرَ»[1].

فَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ أَعْجَزَ الأَطِبَّاءَ عِلَاجُهُ، فَمَا وَجَدَ بُرْأَهُ إِلَّا فِي الرُّقَىٰ الشَّرْعِيَّةِ المَأْثُورَةِ. وَخَيْرُ الرُّقَىٰ مَا كَانَتْ بِرُقًى مَأْثُورَةٍ، وَبِرَاقٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّهُ تَجْتَمِعُ فِيهَا بَرَكَةُ الرُّقْيَةِ وبَرَكَةُ الرَّاقِي. واحْذَرْ مِمَّنْ يَدَّعُونَ العِلَاجَ بالقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الدَّجَلِ والاحْتِيالِ؛ فَإِنَّهُمْ ذِئَابٌ يَقْتَاتُونَ عَلَىٰ أَوْجَاعِ النَّاسِ؛ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُرْقِيَ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ، فَافْعَلْ؛ بِحُضُورِ قَلْبٍ، وتَعَلُّقٍ باللهِ تَعالَىٰ، وحُسْنِ رَجَاءٍ؛ فَإِنَّهُ أَصْدَقُ؛ ثُمَّ أَبْشِرْ بالشِّفَاءِ.

---

(1) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: 25/ 148، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لِلْقَسْطَلَّانِي: 8/ 348، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 3/ 1123، وحاشية البُغَا علىٰ صحيح البخاري: 4/ 202.

الرِّسَالَةُ السَّابِعَةُ: الصَّدقةُ شفاءٌ

إِنَّ مِمَّا يَدْفَعُ البَلاءَ، وَيَشْفِي مِنَ الأَمْرَاضِ والأَسْقَامِ الصَّدَقَةَ الخَالِصَةَ.
والاسْتِشْفَاءُ ودَفْعُ البَلَاءِ بالصَّدَقَةِ مُجَرَّبٌ مَعْلُومٌ، وَجاءَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ؛ فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»[1].

والسِّرُّ فِي أَنَّ الصَّدَقَةَ شِفَاءٌ وصَرْفٌ لِعُمُومِ البَلاءِ أَنَّ الصَّدَقَةَ الخَالِصَةَ التِي لَا يُلَابِسُهَا مَنٌّ وَلَا أَذىٰ تُكْشَفُ بِهَا كُرُبَاتُ النَّاسِ، وَتُبَدَّلُ أَحْزَانُهُمْ أَفْرَاحًا، وَلَعَلَّ أَكْثَرَ فِتَنِ النَّاسِ اليَوْمَ وشَدَائِدِهِمْ مِنْ جِهَةِ قِلَّةِ المَالِ؛ فَكَمْ مِنْ مَكْرُوبٍ؛ كُشِفَتْ كُرْبَتُهُ بِصَدَقَةٍ صَالِحَةٍ، وَتَبَدَّلَتْ حَالُهُ مِنْ شِدَّةٍ إِلَىٰ فَرَجٍ.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: 6/ 163، رقم: (6086)، وصحَّحه الألباني.

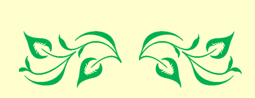
العُلَمَاءُ يُؤَكِّدُونَ الخَبَرَ

وَمِنَ المُقَرَّرِ عِنْدَ عُلَمَاءِ السُّلُوكِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لِعَبْدِهِ كَمَا يَكُونُ العَبْدُ لِإِخْوانِهِ المُسْلِمينَ، فَمَنْ كَشَفَ كُرُبَاتِهِمْ؛ كَشَفَ اللهُ تَعَالَىٰ كُرْبَتَهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَاتِهِمْ؛ كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ أَعَانَهُمْ أَعَانَهُ، ...

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَماءَ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَهُوَ سِتِّيرٌ يُحِبُّ مَنْ يَسْتُرُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَعَفُوٌّ يُحِبُّ مَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ، وغَفُورٌ يُحِبُّ مَنْ يَغْفِرُ لَهُمْ، ولَطِيفٌ يُحِبُّ اللَّطِيفَ مِنْ عِبَادِهِ، وَرَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَحَلِيمٌ يُحِبُّ الحِلْمَ، وبَرٌّ يُحِبُّ البِرَّ وأَهْلَهُ؛ وَيُجَازِي عَبْدَهُ بِحَسَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِيهِ وُجُودًا وعَدَمًا، فَمَنْ عَفَا؛ عَفَا عَنْهُ، وَمَنْ غَفَرَ؛ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ سَامَحَ؛ سَامَحَهُ، ومَنْ رَفَقَ بِعِبَادِهِ؛ رَفَقَ بِهِ، ومَنْ رَحِمَ خَلْقَهُ؛ رَحِمَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ؛ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمَنْ جَادَ عَلَيْهِمْ؛ جَادَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَفَعَهُمْ؛ نَفَعَهُ، وَمَنْ سَتَرَهُمْ؛ سَتَرَهُ، ومَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ؛ صَفَحَ عَنْهُ؛ وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُمْ؛ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ هَتَكَهُمْ؛ هَتَكَهُ وَفَضَحَهُ، وَمَنْ مَنَعَهُمْ خَيْرَهُ؛ مَنَعَهُ خَيْرَهُ، وَمَنْ شَاقَّ؛ شَاقَّ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، وَمَنْ مَكَرَ؛ مَكَرَ بِهِ، وَمَنْ

خَادَعَ؛ خَادَعَهُ، وَمَنْ عَامَلَ خَلْقَهُ بِصِفَةٍ؛ عَامَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِتِلْكَ الصِّفَةِ بِعَيْنِهَا فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ؛ فاللهُ تَعَالَىٰ لِعَبْدِهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَكُونُ العَبْدُ لِخَلْقِهِ»[1].

وَمِنْ هُنَا كَانَتِ الصَّدَقَةُ شِفَاءً؛ فَمَنْ شَفَىٰ نُفُوسَ المُؤْمِنِينَ مِنَ الأَحْزَانِ والكُرُبَاتِ بِصَدَقَتِهِ؛ شَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرَاضٍ وأَسْقَامٍ؛ جَزَاءً وِفَاقًا. فَسَارِعْ إِلَىٰ الصَّدَقَةِ عَلَىٰ فَقِيرٍ مُضْطَرٍّ، تَكْشِفْ بِهَا كُرْبَتَهُ؛ يُسَارِعْ لَكَ اللهُ تَعَالَىٰ بالعَافِيَةِ وكَشْفِ الكُرْبَةِ، فَمَنْ أَلَمَّ بِهِ بَلاءٌ؛ فَلَا دَوَاءَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ الخَالِصَةِ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.



---

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 35.

الرِّسَالَةُ الثَّامِنَةُ: إِيَّاكَ والتَّهاونَ في شأنِ الصَّلاةِ

إنَّ العَبْدَ المُسْلِمَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي حَالِ مَرَضِهِ وشِدَّتِهِ، وَلَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِطَاعَتِهِ، وَفِي الحَدِيثِ: «**فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»[1]؛ وَإِنَّ الصَّلَاةَ أَحَبُّ الطَّاعَاتِ والأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: «**سَأَلْتُ النَّبِيَّ** ﷺ: **أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»[2]. فَكَيْفَ يَرْجُو العَبْدُ مِنْ رَبِّه الشِّفَاءَ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ التِي أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيهِ؟

---

(1) أخرجه البزار في مسنده: 7/ 314، رقم: (2914)، والطبراني في المعجم الكبير: 8/ 166، رقم: (7694)، وصحَّحه الألباني.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 112، رقم: (527).

لا عُذْرَ لأَحَدٍ بِتَرْكِ الصَّلاةِ

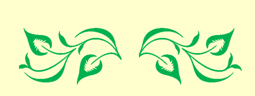
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ، مَا دَامَتِ الرُّوحُ فِي جَسَدِهِ، فَالمَرِيضُ مُطَالَبٌ بالمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَاةِ عَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ كَانَ: فَلْيُصَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ؛ فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁، قَالَ: «**كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**»[1]. وَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَلْيَتَيَمَّمْ، بِضَرْبِ كَفِّهِ عَلَىٰ صَعِيدٍ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ، ثُمَّ كَفَّيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي المَكْتُوبَةِ، فَإِنْ فَاتَتْهُ صَلَاةٌ لِأَجْلِ غَيْبُوبَةِ المُخَدِّرِ، أَوْ ثِقَلِ الدَّوَاءِ؛ فَعَلَيْهِ أَدَاؤُهَا حَالَ اسْتِيقَاظِهِ حتَّىٰ إِنْ فَاتَ وَقْتُهَا.

وَمَا شَدَّدَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ العِبَادَاتِ تَشْدِيدَهُ فِي شَأْنِ الصَّلَاةِ؛ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵁ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ**

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 2/ 48، رقم: (1117).

وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[1]، وإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ؛ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»[2]؛ فَإِذَا حَبِطَ العَمَلُ وَبَطَلَ بِفَوَاتِ صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَكَيْفَ بِتَرْكِهَا بالكُلِّيَّةِ؟

ثُمَّ اعْزِمْ بَعْدَ أَنْ يَمُنَّ اللهُ تعالَىٰ عَلَيْكَ بالشِّفَاءِ والعَافِيَةِ أنْ تُحَافِظَ عَلَىٰ صَلَواتِكَ كُلِّهَا فِي بَيوتِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الدَّوَامِ شُكْرًا للهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ نِعْمَةِ العَافِيَةِ.



---

(1) أخرجه مسلم: 1/ 88، رقم: (82).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 115، رقم: (553).

الرِّسَالَةُ التَّاسِعَةُ: دَاؤُكَ دَوَاؤُكَ

إِنَّ العَبْدَ العَاقِلَ الرَّشِيدَ لَا يَسْتَعْجِلُ مَا أَخَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ أَمْرِ الشِّفَاءِ، وَيَطِيبُ نَفْسًا بِمَا حَكَمَ القَضَاءُ؛ فَإِنَّ «الرَّبَّ تَعَالَىٰ قَدْ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، فَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شُؤُونٍ يُبْدِيهَا، وَلا يَبْتَدِيهَا»[1]، وَلَهُ أَقْدَارٌ مُقَدَّرةٌ، نَفَذَتْ فِيهَا المَشِيئَةُ، وَجَرَىٰ بِهَا القَلَمُ، وَجَفَّتْ مِنْهَا الصُّحُفُ، يُجْرِيهَا سُبْحَانَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ، وَكَرَامَةً لَهُمْ؛ فَكَمْ مِنْ مَرَضٍ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ لِعَبْدِهِ سَعَادَةَ الأَبَدِ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. فَهِمَ هَذَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه، واطْمَأَنَّ بِهِ قَلْبُهُ؛ فَقَالَ: «أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُورٌ إِلَّا فِي مَوَاقِعِ الْقَدَرِ، وَقِيلَ لَهُ مَا تَشْتَهِي؟ فَقَالَ: مَا يَقْضِي اللهُ تَعَالَىٰ»[3].

---

(1) انظر: معجم المناهي اللفظية، لبكر أبو زيد: 1/ 658.

(2) البقرة: 216.

(3) إحياء علوم الدين، للغزالي: 4/ 346.

فَرُبَّ مَرَضٍ أَصابَ بَدَنَ العَبْدِ؛ فَكَرِهَهُ واسْتَثْقَلَهُ، واسْتَعْجَلَ العَافِيَةَ مِنْهُ؛ دَاوَىٰ اللهُ تَعالَىٰ بِهِ مِنَ الأَمْرَاضِ البَاطِنَةِ المُهْلِكَةِ مَا هُوَ أَضَرُّ عَلَيْهِ بِكَثِيرٍ، فَكَانُ دَاؤُهُ عَيْنَ دَوَائِهِ، وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ؛ فَرُبَّ مُصَابٍ بِمَرَضِ الكِبْرِ أَوِ العُجْبِ أَوِ الرِّياءِ، أَصَابَتْهُ فَاقِرَةُ المَرَضِ؛ فَدَاوَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ قَلْبَهُ وَنَفْسَهُ؛ فَافْتَقَرَ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ، وَخَلَّصَهُ اللهُ تَعالَىٰ بِهِ مِنْ أَدْوَاءَ قَاتِلَةٍ هِيَ حَشْوُ قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَلَوْ لَقِيَ اللهَ تَعَالَىٰ وَهِيَ فِيهِ؛ كانَ فِيهَا هَلَاكُ آخِرَتِهِ، وَلَقِيَ اللهَ تَعالَىٰ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ؟!

وَكَمْ مِنْ مُغْتَابٍ مُوغِلٍ فِي الخَوْضِ فِي أَعْرَاضِ المُسْلِمينَ وذِكْرِ مَعَايِبِهِمْ ومَسَاوِئِهِمْ؛ دَاوَاهُ المَرَضُ؛ فَأَمْسَكَ لِسَانَهُ، وَتَحَلَّلَ مِنْ مَظَالِمَ أَثْقَلَتْ ظَهْرَهُ دَهْرًا طَوِيلًا، وَزَمَانًا مَدِيدًا، وَلَوْ بَقِيَتْ عَلَيْهِ أَوْزَارُهَا؛ لَلَقِيَ اللهَ تَعالَىٰ مُفْلِسًا؟! وكَمْ مِنْ ظَالِمٍ دَاوَاهُ المَرَضُ؛ فَرَدَّ المَظَالِمَ لِأَهْلِهَا، وتَحَلَّلَ مِنْهَا؟!

وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ مُمْسِكٍ مَالَهُ عَنِ الفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ وأَصْحَابِ الحُقُوقِ دَاوَاهُ المَرَضُ؛ فَأَخْرَجَ حَقَّ الفَقِيرِ والمِسْكِينِ؟!

وكَمْ مِنْ قَاطِعِ رَحِمٍ قَرِيبَةٍ دَاوَاهُ المَرَضُ؛ فَوَصَلَ رَحِمًا هُوَ قَاطِعُهَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، مَا كَانَ لِيَصِلَهَا لَوْلَا المَرَضُ؟!

وَكَم مِنْ جِيرَانٍ أَوْ أَصْدِقَاءَ مُتَقَاطِعِينَ مُتَدابِرِينَ؛ وَصَلَهُمَا المَرَضُ، وَرَدَّ لَهُمْ أُلْفَتَهُمْ وَوُدَّهُمْ بَعْدَ غِيابِهُمْ؟!

وَكَمْ مِنْ زَوْجَيْنِ مُتَهَاجِرَينِ، مُتَواعِدَيْنِ عَلَىٰ الطَّلَاقِ، أَصْلَحَ المَرَضُ بَيْنَهُمَا، فَعَادَتْ إِلَيْهِمَا مَوَدَّتُهُمَا وَقَدْ فَقَدَاهَا زَمَانًا طَوِيلًا؛ فَعَادَا عَرُوسَيْنِ مِنْ جَدِيدٍ؟!

وَكَمْ مِنْ عَاقٍّ لِوَالِدَيْهِ، أَسْخَطَهُمَا عُقُوقُهُ عَلَيْهِ؛ دَاوَاهُ المَرَضُ؛ فَبَرَّ والِدَيْهِ، وأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا؛ فَرَضِيَا عَنْهُ بَعْدَ السَّخَطِ؟!

وَكَمْ مِنْ تَارِكٍ للصَّلَاةِ، أَوْ مُقَصِّرٍ فِيهَا؛ دَاواهُ المَرَضُ؛ فَصَارَ مِنْ خَاصَّةِ العُبَّادِ، وَلَزِمَ بُيوتَ اللهِ تَعالَىٰ؟!

وَكَمْ مِنْ غَافِلٍ، مُنْهَمِكٍ فِي الدُّنْيا، مُعْرِضٍ عَنِ الآخِرَةِ رَأَىٰ مَرِيضًا؛ فَاعْتَبَرَ بِهِ؛ وَزَهِدَ فِي الدُّنْيا، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ بِصُنُوفِ البِرِّ والإِحْسانِ؟!

وَكَمْ مِنْ فَاجِرٍ وفَاجِرَةٍ، لَمْ يَتْرُكُوا بَابًا مِنَ المَعَاصِي إِلَّا وَلَجُوهُ، قَطَعُوا أَيَّامَهُمْ فَارِّينَ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ؛ رَدَّهُمُ المَرَضُ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ؛ فَتَابُوا إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ تَوْبَةً نَصُوحًا؛ فَفَرُّوا إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ، بَعْدَ فِرارِهِمْ مِنْهُ، وَأَسْلَمُوا نَواصِيَهُمْ إِلَيْهِ؟!...

المَرَضُ مِفْتَاحُ الطَّاعَاتِ

وَرُبَّ مَرَضٍ اسْتَخْرَجَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ مِنَ العَبْدِ صُنُوفًا مِنَ العِبَادَاتِ، وفتَحَ لَهُ بِهِ أَبْوابَ الطَّاعَاتِ؛ فَرَفَعَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ عَبْدَهُ إِلَىٰ مَنْزِلَةٍ سَبقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَها لَوْلَا هِدَايَةُ المَرَضِ؛ فَرُبَّ تَسْبيحَةٍ سَبَّحَها مَرِيضٌ، أَوْ ذِكْرٍ للهِ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ، أَوْ صَلَاةٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ أَحدَثَهَا بَعْدَ مَرَضِهِ، أَوْ صِيَامِ نَافِلَةٍ دَاوَمَ عَلَيْهِ، أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ صِلَةٍ، أَوْ سَعْيٍ فِي الخَيْرِ، أَوْ رِقَّةٍ حَصَلَتْ لِقَلْبِهِ، أَوْ بُكَاءٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ لِعَبْدِهِ بِهَا سَعَادَةَ الأَبَدِ، قَالَ يَزِيدُ بنُ مَيْسَرَةَ: إِنَّ العَبْدَ لَيَمْرَضُ المَرَضَ، ومَا لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ عَمَلِ خَيْرٍ، فَيُذَكِّرُهُ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعْضَ مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ؛ فَيَخْرُجُ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنَ الدَّمْعِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ -إِنْ يَبْعَثْهُ- مُطَهَّرًا، أَوْ يَقْبِضُهُ -إِنْ قَبَضَهُ- مُطَهَّرًا»[1].

---

(1) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 87.

وَفِي مَعْنَىٰ مَا سَبَقَ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيمَانِهِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: يَا بْنَ آدَمَ، لَقَدْ بُورِكَ لَكَ فِي حَاجَةٍ أَكْثَرْتَ فِيهَا مِنْ قَرْعِ بَابِ سَيِّدِكَ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ: إِنَّهُ لَيَكُونُ لِي إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ حَاجَةٌ، فَأَدْعُوهُ؛ فَيُفْتَحُ لِي مِنْ لَذِيذِ مَعْرِفَتِهِ، وَحَلَاوَةِ مُنَاجَاتِهِ، مَا لَا أُحِبُّ مَعَهُ أَنْ يُعَجِّلَ قَضَاءَ حَاجَتِي؛ خَشْيَةَ أَنْ تَنْصَرِفَ نَفْسِي عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ لَا تُرِيدُ إِلَّا حَظَّهَا، فَإِذَا قَضَىٰ؛ انْصَرَفَتْ. وَفِي بَعْضِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ: «يَا بْنَ آدَمَ، الْبَلَاءُ يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَالْعَافِيَةُ تَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ»[1].

وَعَنْ كُرْدُوسِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ[2]: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيَبْتَلِي الْعَبْدَ وَهُوَ يُحِبُّهُ؛ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ»[3].

---

(1) الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية: 5/ 285.

(2) الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية: 5/ 285.

(3) يَعْنِي كُتُبَ أَهْلِ الكِتَابِ السَّابِقَةِ لليهودِ والنَّصارَىٰ.

المَرَضُ فُرْصَةٌ

والمَرَضُ لِذِي العَقْلِ الرَّشيدِ والهِمَّةِ العَالِيَةِ فُرْصَةٌ للتَّكَثُّرِ مِنَ العِبَادَاتِ، إِذِ المَرِيضُ فِي الأَغْلَبِ الأَعَمِّ يَنْقَطِعُ عَنْ أَعْمَالِ الدُّنْيا، وَيَنْفَرِدُ فِي بَيْتِهِ أَوْ عَلَىٰ سَرِيرِ مَرَضِهِ، إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْ كَثْرَةِ العُوَّادِ فِي مُبْتَدَأِ المَرَضِ، فَيَحْسُنُ بالمَرِيضِ الذِي يَرْجُو حُسْنَ الخَاتِمَةِ، وَيَبْتَغِي مَا عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ من الخَيْرِ أَنْ يَخْلُوَ باللهِ ﷻ، وَيَشْتَغِلَ بِطَاعَتِهِ؛ فَلا يَفُوتُ لَحْظَةٌ مِنْ لَحَظَاتِهِ، ولا نَفَسٌ مِنْ أَنْفَاسِهِ إِلَّا فِي طَاعَةٍ رَاجِحَةٍ، فَيُنْشِئُ مِنَ العِبَادَاتِ التِي تَسْهُلُ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ، مِمَّا لَمْ تَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ مِنْ قَبْلُ، وَيَنْشَطُ فِي العِبَادَاتِ التِي كَانَ تَعَوَّدَهَا.

ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى فُرْصَةُ المَرِيضِ

وإِنَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ فُرْصَةٌ للمَرِيضِ أَيَّمَا فُرْصَةٍ، يَتَكَثَّرُ مِنْهُ؛ فَهِيَ عِبَادَةٌ خَفِيفَةٌ مَيْسُورَةٌ مُرِيحَةٌ، يَسْتَطِيعُهَا كُلُّ مَرِيضٍ عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانَ، وَهِيَ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ العَبْدِ وَأَزْكَاهَا، تَعْدِلُ الجِهَادَ والإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ**[1]**، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا شَيْءٌ أَنْجَىٰ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»**[2].

فَيُكْثِرُ المَرِيضُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ؛ فَخَيْرُ الذِّكْرِ وَأَنْفَعُهُ مَا تَوَاطَأَ فِيهِ قَلْبُ العَبْدِ وَلِسَانُهُ، وَنَقْتَرِحُ لَهُ أَنْ يُسَبِّحَ فِي يَوْمِهِ

---

(1) الوَرِقُ: الفِضَّةُ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 9/ 222.

(2) أخرجه ابن ماجه: 2/ 1245، رقم: (3790)، وصحَّحه الألباني.

أَلْفًا، وَيَحْمَدَ الله تَعَالَىٰ أَلْفًا، وَيذْكُرهُ بِـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) أَلْفًا، وَيُكَبِّرَ اللهَ تَعَالَىٰ أَلْفًا، وَيَسْتَغْفِرَ أَلْفًا، وَيُصَلِّيَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَلْفًا، وَلَهُ أَنْ يَخْتَارَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَذْكَارِ مَا يَشَاءُ. وَلَهُ أَنْ يَزِيدَ عَلَىٰ الأَلْفِ أَوْ يُنْقِصَ بِحَسَبِ مَا يَفْتَحُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَيُبَارِكُ لَهُ فِي وَقْتِهِ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الصَّالِحِينَ عَلَىٰ شِدَّةِ مَرَضِهِمْ؛ فعَنْ مُحَمَّدِ بنِ ثابتٍ البُنَانِيِّ قالَ: «ذَهَبْتُ أُلَقِّنُ أَبِي، وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، قُلْ: (لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ)، فقالَ: يا بُنَيَّ خَلِّ عَنِّي؛ فَإِنِّي فِي وِرْدِي السَّادِسِ أَوِ السَّابِعِ»[1].

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني: 2/ 322، وتاريخ الإسلام، للذهبي: 6/ 927.

تِلاوَةُ القُرْآنِ فُرْصَةُ المَرِيضِ

وإِنَّ تِلَاوَةَ القُرْآنِ فُرْصَةٌ لِلمَرِيضِ أَيْضًا، يَتَكَثَّرُ مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا اسْتَطَاعَ: بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، وَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَغْرِقَ أَكْثَرَ وَقْتِهِ فِيهِ؛ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّهُ مَا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَفْضَلَ مِنْ كَلَامِهِ؛، ولا يزالُ القُرْآنُ بِصَاحِبِهِ يومَ القِيَامَةِ، حتَّىٰ يُتَوِّجَهُ تاجَ الكَرَامَةِ، وَيُحَلِّيَهُ بِحُلَّة الكَرَامَة، وَلَا يَزَالُ بِهِ يُرَضِّي عَنْهُ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ، حتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهُ، ويُدْنِيَ مَجْلِسَهُ، ويُقَرِّبَهُ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَىٰ عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**»[1].

وَإِنَّ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ يَتْلُوهُ حَسَنَةً، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَىٰ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 5/ 178، رقم: (2915)، وحسَّنه الألباني.

اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1].

فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ القِرَاءَةُ؛ فَلْيَسْتَمِعْ إِلَىٰ قَارِئٍ نَدِيِّ الصَّوْتِ، رَقِيقِ التِّلَاوَةِ؛ يَجِدُ قَلْبَهُ مَعَ تِلَاوَتِهِ؛ فَلَعَلَّهُ أَنْ يُفْتَحَ مِنْ أَقْفَالِ قَلْبِهِ فِي حَالِ مَرَضِهِ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مَا لَمْ يُفْتَحْ مِنْ قَبْلُ؛ فَتَكُونَ حَيَاةُ القَلْبِ وَالنَّفْسِ وَالرُّوحِ؛ وَتَكُونَ سَعَادَةُ الأَبَدِ.

وَهَذَا العَبْدُ الزَّاهِدُ العَابِدُ القَانِتُ، المُحِبُّ للهِ تَعَالَىٰ، الجُنَيْدُ بنُ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه، لَمْ يَحُلْ مَرَضُ مَوْتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَتْلُوَهُ، فَمَاتَ يَوْمَ مَاتَ وَهُوَ يَقْرَأُ القُرْآنَ؛ فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْعَطَوِيِّ، قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ الْجُنَيْدِ حِينَ مَاتَ، فَخَتَمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنَ الْبَقَرَةِ، فَقَرَأَ سَبْعِينَ آيَةً، ثُمَّ مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ»[2].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 5/ 175، رقم: (2910)، وحسَّنه الألباني.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني: 10/ 264، وتاريخ الإسلام، للذهبي: 6/ 927.

صَلاةُ النَّافِلَةِ فُرْصَةُ المَرِيضِ

وَإِنَّ صَلَاةَ النَّافِلَةِ فُرْصَةٌ لِلمَرِيضِ مِنْ أَعْظَمِ فُرَصِ العِبَادَةِ؛ إِذَا أَحْسَنَ اسْتِثْمَارَهَا؛ فَالعَاقِلُ الحَصِيفُ[1] يَتَكَثَّرُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ، يَتَحَبَّبُ بِهَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَفِي الحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[2].

فَيَتَوَضَّأُ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَيَتَيَمَّمُ، ثُمَّ يُصَلِّي بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ: إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَائِمًا؛ فَقَاعِدًا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَاعِدًا؛ فَعَلَىٰ جَنْبٍ، كَيْفَمَا يَتَيَسَّرُ لَهُ؛

---

(1) الحَصِيفُ: المُحْكَمُ العَقْلِ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 1/ 396.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 8/ 105، رقم: (6502).

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بِفَضْلِه وَرَحْمَتِهِ يَسَّرَ الصَّلَاةَ وسَهَّلَهَا؛ لِيَسْتَطِيعَهَا كُلُّ أَحَدٍ، وَعَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانَ، وَإِنَّهُ لَا يَعْجَزُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا عَاجِزٌ.

وللمَرِيضِ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ مُصْحَفٍ مَفْتُوحٍ؛ فَإِنَّهُ مَشْرُوعٌ. وَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ وُسْعَهُ، فَيُصَلِّي عَشْرَ رَكَعَاتٍ؛ فَإِنْ وَجَدَ نَشَاطًا صَلَّىٰ عِشْرِينَ أَوْ ثَلاثِينَ...، وَإِنْ وَجَدَ نَشَاطًا صَلَّىٰ فِي اليَوْمِ مِائَةَ رَكْعَةٍ أَوْ مِائَتَيْنِ أَوْ ثلاثَمِائَةٍ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا زَادَ فِي صَلَاتِهِ؛ كَانَ خَيْرًا لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِنَّ العَبْدَ يَقْرُبُ أَكْثَرَ مَا يَقْرُبُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ فُرْصَةٌ للدُّعَاءِ، وَمَظِنَّةُ إِجَابَةٍ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[1].

وإِنَّ العَبْدَ كُلَّما سَجَدَ للهِ تَعَالَىٰ أَكْثَرَ؛ ارْتَفَعَ قَدْرُهُ ومَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَكْثَرَ؛ فعن مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ، قَالَ: «**لَقِيتُ ثَوْبَانَ** ﵁، **مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ** ﷺ، **فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ،**

---

(1) أخرجه مسلم: 1/ 350، رقم: (482).

فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً؛ إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»[1].

وَكَثْرَةُ السُّجُودِ سَبَبٌ أَكِيدٌ فِي مُرَافَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الجَنَّةِ؛ فعن رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: **«كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ**[2] **وَحَاجَتِهِ؛ فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**[3].

عَلِمَ هَذَا الصَّالِحُونَ؛ فَكَانَ المَرَضُ لَا يُقْعِدُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، بَلْ يَنْشَطُونَ فِيهِ وَيَتَزَوَّدُونَ؛ فعن عبدِ اللهِ بْنِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، قالَ: «كان أَبِي يُصَلِّي فِي كُلِّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَ مِائَةِ ركعةٍ، فَلَمَّا مَرِضَ مِنْ تلكَ الأسواطِ التي أَضْعَفَتْهُ؛ فَكانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يومٍ وليلةٍ مِائَةً وخمسينَ ركعةً، وقدْ كانَ قَرُبَ مِنَ الثمانِينَ، وكانَ يقرأُ في كُلِّ يومٍ سُبُعًا مِنْ كتابِ اللهِ تعالَىٰ، يَخْتِمُ القرآنَ

---

(1) أخرجه مسلم: 1/ 353، رقم: (488).

(2) الوَضُوءُ (بِفَتْحِ الوَاوِ): الماءُ الذي يُتوَضَّأُ بِه، الوُضُوءُ (بِضَمِّ الوَاوِ): الفِعْلُ، انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لابن دُرَيْدٍ: 1/ 420.

(3) أخرجه مسلم: 1/ 353، رقم: (489).

فِي سَبْعَةِ أيامٍ، وكانَتْ له ختمةٌ في كُلِّ سَبْعِ ليالٍ سِوَىٰ صلاةِ النَّهارِ، وَكَانَ سَاعةَ يُصَلِّي عِشاءَ الآخِرَةِ، يَنامُ نَوْمَةً خفيفةً، ثُمَّ يقومُ إِلَىٰ الصباحِ يُصَلِّي، وَيَدْعُو»[1].

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، قَالَ: «أَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ القُرْآنَ فِي المَسْجِدِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْه، وَهُوَ يَقْضِي[2] فِي مَسْجِدِه، فَقُلْنا: يَرْحَمُكَ اللهُ، لَوْ تَحَوَّلْتَ إِلَىٰ فراشِكَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**لَا يَزَالُ العَبْدُ فِي صَلاةٍ مَا كانَ فِي مُصَلَّاهُ، يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ، تَقُولُ المَلائِكَةُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ**»[3]، **قالَ: فَأُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا فِي مَسْجِدِي**»[4].

---

(1) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر: 5/ 300، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 11/ 212.

(2) يقضي: أي: يحضر، ويموت، بمعنىٰ أنه يقضي آخر أنفاسه في هذه الحياة الدنيا.

(3) الحَدِيثُ في الصَّحِيحينَ: «**المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»، انظر: صحيح البخاري: 1/ 96، رقم: (445)، وصحيح مسلم: 1/ 459، رقم: (649).

(4) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: 11/ 88.

صِيَامُ النَّافِلَةِ فُرْصَةُ المَرِيضِ

ولِلمَرِيضِ أَنْ يُنْشِئَ عَادَةَ صِيامٍ حَالَ مَرَضِهِ إِنْ كَانَ مَرَضُهُ مِمَّا لَا يُعْجِزُهُ عَنِ الصِّيامِ، كالمُقْعَدِ، وكالشَّيْخِ الكَبِيرِ، وغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ الصِّيَامَ حَبِيبٌ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، واللهُ تَعَالَىٰ هُوَ مَنْ يَتَوَلَّىٰ مُكَافَأَةَ الصُّيَّامِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...**»[1].

وكَفَىٰ بالصِّيامِ برَكَةً ما بَشَّرَ به النبيُّ ﷺ من فَضْلِهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَامًا**»[2]. وَكُلَّما ابتَعَدَ العَبْدُ عَنِ النَّارِ؛ اقْتَرَبَ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ ومِنْ مَحِلِّ كَرَامَتِهِ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 3/ 29، رقم: (1904).

(2) أخرجه مسلم: 2/ 808، رقم: (1153)، وأحمد في مسنده: 18/ 5، رقم: (11406).

والصِّيامُ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ أَبَا أُمَامَةَ رضي الله عنه لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُوصِيَهُ بعِبَادَةٍ يَلْزَمُهَا، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ. قَالَ: فَمَا رُئِيَ أَبُو أُمَامَةَ، وَلَا امْرَأَتُهُ، وَلَا خَادِمُهُ إِلَّا صُيَّامًا. قَالَ: فَكَانَ إِذَا رُئِيَ فِي دَارِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ قِيلَ: اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ، نَزَلَ بِهِمْ نَازِلٌ**»[1].

عَلِمَ هَذَا الصَّالِحُونَ؛ فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَمُوتُ، وَهُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَىٰ الفِطْرِ، فَمَا يُفْطِرُ؛ طَمَعًا فِي أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ صَائِمًا؛ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «دَخَلُوا علَىٰ أَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي مَرْيَمَ، وهُوَ فِي النَّزْعِ، وَهُوَ صائِمٌ، فَعَرضُوا عليه ماءً؛ لِيُفْطِرَ؛ فقال: أَغَربَتِ الشَّمْسُ؟ قَالُوا: لا، فَأَبَىٰ أَنْ يُفْطِرَ، ثمَّ أَتَوْهُ بماءٍ، وقدِ اشتدَّ نَزْعُهُ؛ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِمْ: أَغَرَبَتِ الشَّمْسُ؟ قَالُوا: نَعَم، فَقَطروا فِي فِيهِ قَطْرةً مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ ماتَ. واحْتُضِرَ إبراهيمُ بنُ هانِئٍ صاحبُ الإمامِ أَحْمَدَ، وَهُوَ صَائِمٌ، وَسَأَلَ: أَغَرَبَتِ الشَّمْسُ؟ فَقَالُوا: لَا، وَقَالُوا لَهُ: قَدْ

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 36/ 554، رقم: (22140)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

رُخِّصَ لكَ فِي الفَرْضِ، وأَنْتَ مُتَطَوِّعٌ، قَالَ: أُمْهَلُ، ثمَّ قالَ: لِمِثْلِ هَذا فَلْيَعْمَلِ العامِلُونَ، ثُمَّ خَرَجَتْ نَفْسُهُ، وَمَا أَفْطَرَ»[1].

فلْيَكُنْ لَكَ عادةُ صيامٍ تُداوِمُ عليه، ثلاثةُ أيامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، أَوِ الإثْنَيْنُ والخميسُ مِنْ كُلِّ أسبوعٍ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ في نفسِكَ قوةً علىٰ الصيامِ؛ فَصُمْ صِيَامَ داوُدَ عليه السلام: كان يصومُ يومًا، ويفطرُ يومًا، وهو أَحَبُّ الصيامِ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ.

ولَيْسَ يَلْزَمُ كُلَّ مَرِيضٍ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذِه العِبَادَاتِ مُجْتَمِعَةً؛ وَإِنَّمَا حَسْبُهُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهَا مَا يَسْتَطِيعُهُ مِمَّا يُنَاسِبُ مَرَضَهُ وَحَالَتَهُ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2].

---

(1) انظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي: 159.

(2) البقرة: 286.

المَرَضُ طَرِيقٌ سَلِيكٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى

وإِنَّ العَبْدَ المُوَفَّقُ لَيَقْطَعُ الطَرِيقَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بالمَرَضِ والابْتِلَاءِ، فَإِنَّهُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَيْنَ العَبْدِ مَسَافَةٌ لَا تُقْطَعُ بِشَيْءٍ أَسْرَعَ مِنَ الثَّبَاتِ فِي مِحْنَةِ البَلَاءِ: بالصَّبْرِ عَلَىٰ البَلَاءِ، والرِّضَا بالقَضَاءِ؛ إِذْ بِهِ تُطْوَىٰ المَسَافَاتُ، وَتُخْتَصَرُ الأَزْمَانُ؛ فَلَكَمْ تَسَبَّبَتْ مِحْنَةُ المَرَضِ للعِبادِ مِنْ مِنَحٍ؟! وَلَكَمْ دَفَعَتْ مِنْ نِقَمٍ؟! فالمَرِيضُ المُحْتَسِبُ الصَّابِرُ عَلَىٰ أَقْدَارِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الرَّاضِي عَنْهُ، مَأْجُورٌ أَعْظَمَ الأَجْرِ، وعَائِدُهُ وَزَائِرُهُ مَأْجُورٌ أَعْظَمَ الأَجْرِ، والدَّاعِي لَهُ مَأْجُورٌ، والسَّاعِي عَلَىٰ خِدْمَتِه مَأْجُورٌ، والمُدَاوِي لَهُ مَأْجُورٌ، والمُعْتَبِرُ المُتَفَكِّرُ بِمَرَضِهِ مَأْجُورٌ...؛ فَانْظُرْ كَمْ يَتَسَبَّبُ المَرَضُ والمَرِيضُ لِلعِبَادِ مِنْ أَجُورٍ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

(1) الأعراف: 187.

مَنْعُ اللهِ تَعَالَى عَطَاءٌ

إِنَّ فَضْلَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيمَا مَنَعَهُمْ أَكْبَرُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَعْطَاهُمْ، فَعَطَاؤُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَطَاءٌ، وَمَنْعُهُ عَطَاءٌ، وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا للهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ، وَكَمَا أَنَّ الطَّبِيبَ الحَاذِقَ الحَكِيمَ العَالِمَ بِمِهْنَتِهِ، يَجْرَحُ المَرِيضَ، وَرُبَّما يَشُقُّ بَطْنَهُ، أَوْ يَقْطَعُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مَصْلَحَةً لِمَرِيضِهِ، والمَرِيضُ يَشْكُرُهُ، ويُثِيبُهُ ويَأْجُرُهُ، وَهُوَ يَئِنُّ مِنَ المَرَضِ؛ فَإِنَّ رَبَّ العِبَادِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الحَكِيمَ فِي تَدْبِيرِهِ، العَلِيمَ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ، الرَّحِيمَ بِهِمْ؛ أَوْلَىٰ بِهَذَا، فَإِنَّهُ لَا يَقْضِي لِعِبَادِهِ إِلَّا مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ: عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ؛ فَعَلَىٰ العَبْدِ المَرِيضِ أَنْ يُسَلِّمَ وَيَسْتَسْلِمَ لِحِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَكِلَ أَمْرَهُ كُلَّهُ إِلَيْهِ، كَمَا يُسَلِّمُ نَفْسَهُ للطَّبِيبِ الحَاذِقِ الخَبِيرِ، قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يُسَلِّمَ لِلْقَاسِمِ الْمُعْطِي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَاهُ؛ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَىٰ، وَلَوْ أَفْقَرَهُ؛ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ

لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْمَرَضُ، وَلَوْ أَصَحَّهُ؛ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الصِّحَّةُ؛ وَلَوْ أَمْرَضَهُ؛ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ»[1].

هَذِهِ لَطَائِفُ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ، أَكْثَرُ الخَلْقِ عَنْهَا غَافِلُونَ مُعْرِضُونَ، لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ ظَاهِرِ المَرَضِ، يُحْصُونَ النِّقَمِ، وَيَنْسَوْنَ النِّعَمَ، «وَالْعَبْدُ لِجَهْلِهِ بِمَصَالِحِ نَفْسِهِ، وَجَهْلِهِ بِكَرَمِ رَبِّهِ ﷻ وَحِكْمَتِهِ وَلُطْفِهِ لَا يَعْرِفُ مَا مُنِعَ مِنْهُ، ومَا ذُخِرَ لَهُ، وَلَو أَنْصَفَ العَبْدُ رَبَّهُ؛ لَعَلِمَ أَنَّ فَضْلَهُ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا وَنَعِيمِهَا أَعْظَمُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِ فِيمَا آتَاهُ مِنْ ذَلِك؛ فَمَا مَنعَهُ إِلَّا لِيُعْطِيَهُ، وَلَا ابْتَلاهُ إِلَّا لِيُعَافِيَهُ، وَلَا امْتَحَنَهُ إِلَّا لِيُصَافِيَهُ، وَلَا أَمَاتَهُ إِلَّا لِيُحْيِيَهُ»[2]؛ فَمَا يَرْبَحُهُ العَبْدُ الصَّالِحُ المُوَفَّقُ بِمَرَضِه فِي دِينِهِ وآخِرَتِهِ أَضْعَافَ أَضْعَافَ مَا يفُوتُهُ مِنْ عَافِيَةِ بَدَنِهِ ودُنْيَاهُ.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 2/ 149.

(2) الفوائد، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 57.

الرِّسَالَةُ العَاشِرَةُ: أحسنِ الظَّنَّ بِربِّك

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِرَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وارْجُ مِنْهُ الشِّفَاءَ؛ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ شِفَائِكَ، وَشِفَاؤُكَ عَلَيهِ هَيِّنٌ يَسِيرٌ، وَهُو بَرٌّ رَحِيمٌ، وإِنَّهُ مَا أُوتِيَ العَبْدُ خَيْرًا بَعْدَ إِسْلَامِهِ مِنْ حُسْنِ ظَنِّهِ باللهِ تَعَالَىٰ، وَثِقَتِهِ بِهِ، وَيَقِينِهِ عَلَيْهِ، وَتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، وحُسْنِ رَجَائِهِ بِهِ؛ قَالَ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللهِ، حَسَنَ الرَّجَاءِ لَهُ، صَادِقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُخَيِّبُ أَمَلَهُ فِيهِ الْبَتَّةَ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُخَيِّبُ أَمَلَ آمِلٍ، وَلَا يُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ؛ فَإِنَّهُ لَا أَشْرَحَ لِلصَّدْرِ، وَلَا أَوْسَعَ لَهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ ثِقَتِهِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَرَجَائِهِ لَهُ، وَحُسْنِ ظَنِّهِ بِهِ»[1].

وإِنَّ الشِّفَاءَ لَيُرْجَىٰ، والدَّوَاءَ يُطْلَبُ مَا لَمْ يَأْتِ الأَجَلُ؛ فَإِذَا جَاءَ الأَجَلُ؛ فَلَا يَدْفَعُهُ رُقْيَةٌ وَلَا عِلَاجٌ وَلَا يَنْفَعُ عِلْمُ الأَطِبَّاءِ، وَفِي الشِّعْرِ:

إِنَّ الطَّبِيبَ لَذُو عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٍ *** مَا دَامَ فِي أَجَلِ الإِنْسَانِ تَأْخِيرُ

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: 1/ 469.

حتّىٰ إذَا ما انقضتْ أيّامُ مُدَّتِهِ *** حَارَ الطبيبُ وَخانَتْه العقاقيرُ[1].

فَإِذَا يَئِسْتَ مِنَ العِلَاجِ، وَشَعَرْتَ بِدُنُوِّ الأَجَلِ؛ فَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعَفْوِهِ، وَتَذَكَّرْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**»[2]، وَاللهُ تَعَالَىٰ لِعَبْدِهِ كَمَا يَظُنُّ العَبْدُ بِهِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»[3]. وعن حَيَّان أَبِي النَّضْرِ، قَالَ: قَالَ وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ: قُدْنِي إِلَىٰ يَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَلَمًا بِهِ، قَالَ: فَقُدْتُهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ثَقِيلٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ ثَقِيلٌ قَدْ وُجِّهَ[4]، وَقَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ، قَالَ: نَادُوهُ، فَنَادَوْهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا وَاثِلَةُ أَخُوكَ، قَالَ: فَأَبْقَىٰ اللهُ مِنْ عَقْلِهِ مَا سَمِعَ أَنَّ وَاثِلَةَ قَدْ جَاءَ، قَالَ: فَمَدَّ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَلْتَمِسُ بِهَا، فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ، فَأَخَذْتُ كَفَّ وَاثِلَةَ فَجَعَلْتُهَا فِي كَفِّهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ تَقَعَ يَدُهُ فِي يَدِ وَاثِلَةَ؛ ذَلِكَ لِمَوْضِعِ يَدِ وَاثِلَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(1) فيض القدير، للمناوي: 2/ 256.

(2) أخرجه مسلم: 4/ 2205، رقم: (2877).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 9/ 145، رقم: (7505)، ومسلم: 4/ 6067، رقم: (2675).

(4) يَعْنِي: وُجِّهَ إِلَىٰ القِبْلَةِ لِأَنَّهُ فِي نَزْعِ المَوْتِ.

فَجَعَلَ يَضَعُهَا مَرَّةً عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَمَرَّةً عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَمَرَّةً عَلَىٰ فِيهِ، قَالَ وَاثِلَةُ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْ شَيْءٍ أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ كَيْفَ ظَنُّكَ بِاللهِ؟ قَالَ: أَغْرَقَتْنِي ذُنُوبِي، وَأَشْفَيْتُ[1] عَلَىٰ هَلَكَةٍ؛ لَكِنِّي أَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ، قَالَ: فَكَبَّرَ وَاثِلَةُ، وَكَبَّرَ أَهْلُ الْبَيْتِ بِتَكْبِيرِهِ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَقُولُ اللهُ** عز وجل: **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ فَلْيَظُنَّ ظَانٌّ مَا شَاءَ**»[2].

عَلِمَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه هَذَا؛ فَكَانَ يَحْلِفُ بِاللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَقُولُ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ عز وجل، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللهِ عز وجل الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ عز وجل ظَنَّهُ ذَلِكَ؛ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ»[3].

فَمَنْ ظَنَّ بِاللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ سَيَشْفِيهُ؛ فَسَيَشْفِيهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَمَنْ ظَنَّ بِاللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ سَيَرْحَمُهُ؛ فَسَيَرْحَمُهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ومَنْ ظَنَّ بِاللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ سَيَرْزُقُهُ؛ فَسَيَرْزُقُهُ اللهُ تَعَالَىٰ... المُهِمُّ أَنْ يَكُونَ الظَّنُّ يَقِينًا بِاللهِ تَعَالَىٰ صَادِقًا أَكِيدًا؛ لَا يَتَخَلَّلُهُ شَكٌّ فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ قَضَاءِ حَاجَةِ عَبْدِهِ.

---

(1) أَشْفَيْتُ: أَشْرَفْتُ وَقَارَبْتُ، انظر: معجم العين، للخليل: 6/ 252.

(2) حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا: 1/ 15.

(3) حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا: 1/ 96.

مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ تَعَالَى أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ

وَمِنْ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ تَعَالَىٰ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَىٰ غَفُورٍ رَحِيمٍ، وَأَنَّهُ أَوْلَىٰ بِكَ مِنْ أُمِّكَ وَأَبِيكَ، وَصَاحِبَتِكَ وَبَنِيكَ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَبَّأَ لِعِبَادِهِ بَعْدَ المَوْتِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ رَحْمَةً يَشْمَلُهُمْ بِهَا، وَأَنَّ عَفْوَ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِكَ.

وإنَّ مِنَ الفِقْهِ أَنَّ مَنْ حَضَرَ مَرِيضًا دَنَا أَجَلُهُ: مِنَ الأَطِبَّاءِ، والأَقَارِبِ والعُوَّادِ أَنْ يُحَدِّثُوهُ بِأَحَادِيثِ الرُّخَصِ، المُبَشِّرَاتِ بِمَا لِلعَبْدِ المُسْلِمِ الصَّابِرِ مِنَ الكَرَامَةِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَنْ يُرَجُّوهُ بِعَفْوِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ حتَّىٰ يُقْبِلَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ أَحَبَّ لِقَاءَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَحَبَّ اللهُ تَعَالَىٰ لِقَاءَهُ؛ وَأَكْرَمَهُ غَايَةَ الإِكْرَامِ؛ فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ؛ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ؛ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكِ،**

وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ»[1].

وَعَلَىٰ الأَطِبَّاءِ وَمَنْ يَحْضُرُ المَرِيضَ إِذَا يَئِسُوا مِنْ شِفَائِهِ، أَنْ يُخْبِرُوهُ بِدُنُوِّ أَجَلِه، وَأَنْ يَخْتَارُوا لِإِخْبَارِهِ بِنُزُولِ المَوْتِ بِهِ الصَّالِحِينَ الفُقَهاءَ، الذِينَ يُزَيِّنُونَ لَهُ المَوْتَ، وَيُحَبِّبونَهُ بِلِقَاءِ اللهِ تَعالَىٰ حَتَّىٰ لَا يَجْزَعَ وَيَسْخَطَ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يُوصِيَ مَنْ خَلْفَهُ بِخَيْرٍ، أَوْ يَتَحَلَّلَ مِنْ مَظَالِمَ كَانَتْ عَلَيْهِ، أَوْ يَسْتَحْدِث طَاعَةً وَعِبَادَةً تَرْفَعُهُ عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ؛ أَوْ يَفْتَقِرَ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ، وَيَنْكَسِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَبْكِيَ بُكَاءَ مَنْ يَسْأَلُ الرَّحْمَةَ والمَغْفِرَةَ؛ فَيَطَّلِعَ اللهُ تَعالَىٰ عَلَىٰ فَقْرِهِ وَضَعْفِهِ واضْطِرَارِهِ؛ فَيَرْحَمَهُ وَيَعْفُوَ عَنْهُ، وَيَغْفِرَ لَهُ مَا سَبَقَ مِنْ ذُنُوبٍ، وَيُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي نَجَاتِهِ وكَرَامَتِهِ.

ومِنَ الفِقْهِ أَلَّا يُخْفُوا عَلَيْهِ حَقِيقَةَ مَرَضِهِ، وأَلَّا يَتْرُكُوهُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ فِي غَيْبُوبَةِ المَوْتِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ؛ فَيَفُوتَهُ الاسْتِعْدَادُ لِلِقَاءِ اللهِ تَعالَىٰ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 8/ 106، رقم: (6507)، ومسلم: 4/ 2065، رقم: (2684).

اللهُ تَعَالَى خَيْرُ مَذْهُوبٍ إِلَيْهِ

ولَوْ يَعْلَمُ العَبْدُ المُؤْمِنُ الصَّابِرُ مَا لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ المَوْتِ مِنَ الكَرَامَةِ والحَفَاوَةِ؛ مَا كَانَ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ المَوْتِ؛ فالمَوْتُ للعَبْدِ الصَّالِحِ رَاحَةٌ مِنْ شَدَائِدِ الدُّنْيا وأَنْكَادِهَا، وَلَا رَاحَةَ للعَبْدِ إِلَّا بِمُلاقَاةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِذَا مَا عَلِمَ المُؤْمِنُ أَنَّ ذَهَابَهُ ومَرْجِعَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، الذِي كُلُّ خَيْرٍ أَصَابَهُ هُوَ مِنْهُ، والذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِهِ وَأَرْحَمُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ لَمْ يَجِدْ بَأْسًا بِنُزُولِ المَوْتِ؛ بَلْ يَسْتَعْجِلُهُ وَيَرْجُو مَا بَعْدَهُ؛ فعَنْ زَيْدٍ الدِّمَشْقِيِّ، قَالَ: «لَمَّا ثَقُلَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ دُعِيَ لَهُ طَبِيبٌ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَىٰ الرَّجُلَ قَدْ سُقِيَ السُّمَّ، وَلا آمَنُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ، فَرَفَعَ عُمَرُ بَصَرَهُ، فَقَالَ: وَلَا يُؤْمَنُ الْمَوْتُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُسْقَ السُّمَّ، قَالَ الطَّبِيبُ: هَلْ أَحْسَسْتَ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: نَعَمْ، قَدْ عَرَفْتُ حِينَ وَقَعَ فِي بَطْنِي، قَالَ: فَتَعَالَجْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ نَفْسُكَ، فَقَالَ: رَبِّي خَيْرُ مَذْهُوبٍ إِلَيْهِ،

وَاللهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ شِفَائِيَ عِنْدَ شَحْمَةِ أُذُنِي، مَا رَفَعْتُ يَدِي إِلَىٰ أُذُنِي فَتَنَاوَلْتُهُ، اللَّهُمَّ خِرْ[1] لِعُمَرَ فِي لِقَائِكَ. فَلَمْ يَلْبَثْ إِلا أَيَّامًا حَتَّىٰ مَاتَ»[2].

---

(1) خِرْ: أَيْ اخْتَرْ لِي، واجْعَلْ لِيَ الخِيَرَةَ فيهِ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 2/ 91.

(2) الثبات عند الممات، لابن الجوزي: 1/ 150.

اسْتِبْشَارُ الصَّالِحِينَ بِالمَوْتِ

لَمَّا عَلِمَ الصَّالِحُونَ مَا عَلِمُوا مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَطَاعُوهُ فِي الدُّنْيا، وَصَبَرُوا عَلَىٰ أَقْدَارِهِ المُؤْلِمَةِ مِنْ مَرَضٍ وَشَدَائِدَ صَبْرًا جَمِيلًا، وَعَظُمَ رَجَاؤُهُمْ، وَحَسُنَ ظَنُّهُمْ بِهِ؛ اشْتَاقُوا إِلَىٰ لِقَائِهِ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ بَوَادِرُ المَوْتِ وأَمَارَاتُهُ، وَلَقَدْ جَاءَ مِنْ أَخْبَارِ أَحْوالِ الصَّالِحِينَ مَا يُهَوِّنُ خَبَرَ المَوْتِ عَلَىٰ مَنْ نَزَلَ بِهِ:

تَرْحِيبٌ بالمَوْتِ

فَكَانَ أَحَدُهُمْ يُرَحِّبُ بالمَوْتِ كَأَنَّهُ ضَيْفٌ عَزِيزٌ، وَحَبِيبٌ طَالَتْ غَيْبَتُهُ؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، «عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، لَمَّا أَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ: انْظُرُوا أَصْبَحْنَا؟ فَأُتِيَ فَقِيلَ: لَمْ تُصْبِحْ، قَالَ: انْظُرُوا أَصْبَحْنَا، فَأُتِيَ فَقِيلَ: لَمْ تُصْبِحْ، حَتَّىٰ أُتِيَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَصْبَحْتَ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَىٰ النَّارِ، مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ، مَرْحَبًا زَائِرًا مُغَيَّبًا حَبِيبًا، جَاءَ عَلَىٰ فَاقَةٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَخَافُكَ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكَرْيِ[1] الْأَنْهَارِ، وَلَا لِغَرْسِ الشَّجَرِ، وَلَكِنْ لِظَمَأِ الْهَوَاجِرِ[2] وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ[3]، وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ»[4].

---

(1) كَرْيُ: مِنَ الكِرَاءِ، وَهُوَ الاسْتِئْجَارُ، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي: 2/ 532.

(2) يقصد بـ (ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ): صيام الأيام شديدة الحَرِّ.

(3) يقصد بـ (مُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ): مجاهدة النفس في العبادة في ساعات الليل والنهار.

(4) الزهد، لأحمد بن حنبل: 1/ 148.

فَرَحٌ بالمَوْتِ

وَكانَ أَحَدُهُمْ يَفْرَحُ بالمَوْتِ لاشْتِيَاقِهِ إِلَىٰ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الأَمْواتِ: رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَحْبِهِ والصَّالِحِينَ مِمَّنْ سَبَقَ؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: «قَالَ بِلَالٌ رضي الله عنه حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: غَدًا نَلْقَىٰ الْأَحِبَّةَ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ، قَالَ: تَقُولُ امْرَأَتُهُ: وَاوَيْلَاهُ، قَالَ: يَقُولُ: وَافَرْحَاهُ»[1].

(1) الثبات عند الممات، لابن الجوزي: 1/ 108.

اسْتِعْجَالُ المَوْتِ

وَكَانَ أَحَدُهُمْ مِنْ شِدَّةِ اسْتِعْجَالِهِ بالمَوْتِ، وَشَوْقِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِلَىٰ رَسُولِه ﷺ وَإِلَىٰ الصَّالِحِينَ يَخْتَارُهُ عَاجِلًا، وَيُقَدِّمُهُ عَلَىٰ حياةٍ طَوِيلَةٍ؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ يزِيدَ بنِ جَابرٍ، أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ أَبِي زَكَرِيَّا كَانَ يَقُولَ: «لَوْ خُيِّرْتُ بَينَ أَنْ أُعَمَّرَ مِائَةَ سَنَةٍ فِي طَاعَةِ اللهِ تعالىٰ، وَأَنْ أُقْبَضَ فِي يومِي هَذَا أَو فِي سَاعَتِي هَذِه؛ لاخْتَرْتُ أَنْ أُقْبَضَ فِي يومِي هَذَا أَو فِي سَاعَتِي هَذِه؛ شَوْقًا إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ، وَإِلَىٰ رَسُولِه ﷺ، وَإِلَىٰ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِهِ»[1].

(1) شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور، للسيوطي: 1/ 24.

تَفْضِيلُ المَوْتِ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

وكانَ أَحَدُهُمْ يُفَضِّلُ المَوْتَ عَلَىٰ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَنْ تَكُونَ لَهُ كُلُّها حَلالًا؛ فعَن أَحْمدَ بنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: «سَمِعتُ أَبَا عبدِ اللهِ النَّباجِيَّ يَقُولُ: لَو خُيِّرْتُ بَينَ أَنْ تكونَ لِيَ الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَتْ؛ أَتَنَعَّمُ فِيهَا حَلَالًا، لَا أُسْأَلُ عَنْهَا يَوْم الْقِيَامَة، وَبَينَ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي السَّاعَةَ؛ لاخْتَرْتُ أَنْ تَخْرُجَ نَفسِي السَّاعَةَ؛ أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَلْقَىٰ مَنْ تُطيعُ»[1].

---

(1) شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور، للسيوطي: 1/ 24.

حَنِينُ القُلُوبِ إِلَى الأَمْوَاتِ

بَلْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَسْتَعْجِلُ المَوْتَ ويَنْتَظِرُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِ بَوادِرُهُ[1]، يَحِنُّ إِلَىٰ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الأَمْواتِ؛ فعَنْ عَبْدَةَ بِنْتِ خَالِد بن مَعْدَانَ قَالَتْ: «مَا كَانَ خَالِدٌ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشٍ، إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ من شَوْقِهِ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِلَىٰ أَصْحَابِهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، يُسَمِّيهِمْ، وَيَقُولُ: هُمْ أَصْلِي وَفَصْلِي، وَإِلَيْهِمْ يحنُّ قَلْبِي، طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ؛ فَعَجِّلْ رَبِّ قَبْضِي إِلَيْكَ، حَتَّىٰ يَغْلِبَهُ النَّوْمُ»[2].

---

(1) بَوادِرُهُ: أَوَّلُ مَا يُسْرِعُ مِنْ أَمْرِهِ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 4/ 48.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، للقاضي عياض: 2/ 21، والزهد والرقائق، لابن المبارك، والزهد، لنعيم بن حماد: 1/ 363.

غِبْطَةُ الأَمْواتِ

وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَغْبِطُ الأَمْوَاتَ، وَيَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ هُوَ المَيِّتَ، وَكَانَ يَعُدُّ المَوْتَ نِعْمَةً وَتُحْفَةً؛ فعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «مَا غَبَطْتُ شَيْئًا لِشَيْءٍ كَمُؤْمِنٍ فِي لَحْدِهِ، أَمِنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَاسْتَرَاحَ مِنَ الدُّنْيَا»[1]، وقَالَ مَسْرُوقٌ: «إِنَّمَا تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ حُفْرَتُهُ»[2].

---

(1) شرح السنة، للبغوي: 5/ 271.

(2) الورع، لأحمد بن حنبل: 1/ 10.

حُبُّ المَوْتِ والشَّوْقُ إِلَيْهِ

وكَانَ أَحَدُهُمْ يَسْتَطِيبُ المَوْتَ وَيَسْتَعْذِبُهُ، وَيَعُدُّهُ جِسْرًا للوُصُولِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فعَنْ حَيَّانَ بنِ الْأسوَدِ، قَالَ: «الْمَوْتُ جِسْرٌ يُوصِلُ الحَبِيبَ إِلَىٰ الحَبِيبِ». وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: «عَلامَةُ الشَّوْقِ حُبُّ الْمَوْتِ مَعَ الرَّاحَةِ». وَقَالَ بَعضُهُمْ: «إِنَّ المُشْتاقينَ يُحِسُّونَ حلاوَةَ الْمَوْتِ عِنْدَ وُرُودِهِ؛ لِمَا قَدْ كُشِفَ لَهُمْ مِنْ رُوحِ الْوُصُولِ، أَحْلَىٰ مِنَ الشَّهْدِ»[1].

(1) شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور، للسيوطي: 1/ 23.

الحَنِينُ إِلَى الوَطَنِ الأَوَّلِ

وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَحِنُّ إِلَىٰ المَوْتِ حَنِينَهُ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَطَنِهِ الأَوَّلِ: وَطَنِهِ وَوَطَنِ أَبِيهِ، فَعَنِ ابْنِ رَجَبٍ، قالَ: قَالَ الحَسَنُ: «المُؤْمِنُ فِي الدُّنْيا كالغريبِ، لا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا، ولا يُنافِسُ فِي عِزِّها، لَهُ شَأْنٌ، وللنَّاسِ شَأْنٌ. لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ عليه السلام، أُسكِنَ هُوَ وزوجتُهُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أُهبِطَا مِنْها، ووُعِدَ بالرُّجوعِ إِلَيْها، وصَالِحُو ذُرِّيَتِهِما، فَالمُؤْمِنُ-أَبَدًا- يحِنُّ إِلَىٰ وَطَنِهِ الأَوَّلِ، وَحُبُّ الوَطَنِ مِنَ الإيمانِ، كَمَا قيلَ:

كَمْ مَنْزِلٍ لِلمَرْءِ يَألَفُهُ الْفَتَىٰ *** وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

ولابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ:

فَحَيَّ عَلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا *** مَنَازِلُنَا الأُولَىٰ وَفِيْهَا الْمُخَيَّمُ

وَلَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تُرَىٰ *** نَعُودُ إِلَىٰ أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الغَرِيبَ إِذَا نَأَىٰ *** وَشَطَّتْ[1] بِهِ أَوْطَانُهُ فَهوَ مُغْرَمُ[2]

وأيُّ اغْتِرابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا التِي *** لَهَا أَضْحَتِ الأَعْداءُ فِينَا تَحَكَّمُ[3].

---

(1) شَطَّتْ واشْتَطَّتِ الدار: تباعدت، انظر: غريب الحديث، لإبراهيم الحربي: 3/ 1157.

(2) مُغْرَمُ: مُحِبٌّ، والغرام: الْحبّ اللَّازِم، يُقَال: رجل مغرم بالحب، وَقد لزمَه الْحبّ، فِي «الصِّحَاح»: الغرام: الولوع، انظر: الكليات، للكفوي: 1/ 399.

(3) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب: 2/ 379.

آخِرُ الكَلَامِ

وَيحْسُنُ أَنْ يَحْضُرَ العَبْدَ عِنْدَ مَوْتِهِ الصَّالِحُونَ الفُقَهَاءُ، وأَنْ يُلَقِّنُوهُ آخِرَ مَا يُلَقِّنُونَهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ بِلُطْفٍ ورِفْقٍ؛ فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

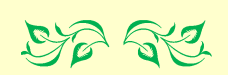
وَثَمَّةَ كَلِمَاتٌ يَحْسُنُ أَنْ يَذْكُرَهَا العَبْدُ آخِرَ مَا يَذْكُرُ؛ تَكُونُ سَبَبًا فِي أَمْنِهِ مِنَ النَّارِ؛ فعَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ شَهِدَ عَلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ قَالَ: يَقُولُ اللهُ عز وجل: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ؛ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ؛ قَالَ صَدَقَ عَبْدِي: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا**

---

(1) أخرجه أبو داود: 3/ 190، رقم: (3116)، وصحَّحه الألباني.

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي. قَالَ أَبُو إِسْحَقَ: ثُمَّ قَالَ الْأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ، فَقَالَ: مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»[1].

ويَحْسُنُ بِمَنْ يَحْضُرُ مَرِيضًا فِي مَوْتِهِ أَنْ يُلَقِّنَهُ تِلْكَ الكَلِمَاتِ المُبَارَكَاتِ بِرِفْقٍ ولُطْفٍ، وَيَحْسُنُ بِكُلِّ أَحَدٍ تَبْلُغُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، ويُعَوِّدَ لِسَانَهُ عَلَيْهَا، حتَّىٰ يُدْمِنَهَا؛ فَتَخِفَّ عَلَيْهِ، وَتَجْرِي عَلَىٰ لِسَانِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ.



(1) أخرجه ابن ماجه: 2/ 1246، رقم: (3794)، وصحَّحه الألباني.

والحَمْدُ للهِ الذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

سَائِلِينَ رَبًّا كَرِيمًا، بَرًّا رَحِيمًا أَنْ يُعَجِّل شِفَاءَ كُلِّ مَرِيضٍ وَيُعَجِّلَ لَهُ العَافِيَةِ، وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِمَرَضِهِ، وَيَهْدِيَهُ سَوَاءَ الصِّرَاطِ. وأَنْ يَنْفَعَنَا بِهَذِهِ المَادَّةِ وَكُلَّ مَنْ أَعَانَ عَلَيْهَا.

وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ.

وكتبه

زكريا بن طه شحادة

الجمعة: 14/ جمادى الآخرة/ 1439هـ



مُحتَوَيَاتُ الكِتَابِ



